

عصر الحيرة المصطلح والظاهرة قراءة جديدة في التاريخ الروائي المبكر للشيعة الإمامية

الأستاذ المساعد الدكتور محمد جواد نور الدين فخر الدين

جامعة الكوفة - كلية التربية البنات

mohammed.nooruldeen@uokufa.edu.iq

**The Age of alhayra A new reading in novelist history
Early for the Imami Shiites**

Assistant Professor Dr. muhammad jawad noor-aldeen fakr-aldeen

University of Kufa College of Education for Girls

mohammed.nooruldeen@uokufa.edu.iq

Abstract:

Many historical and nodal sources have been interested in studying the era of backbiting on their various intellectual and doctrinal aspects, whether they are Arabs or foreigners, given its historical importance, in addition to being an important part of the human heritage. It is clear about that era, and that some of it is clouded with ambiguity and needs to be re-read new in accordance with the concept of the text and its connotations, or the social, intellectual and political conditions that were codified in it, and what resulted from it with features some of which differ from the other according to the different contemporary historical stages in which this was recorded. The text or that, and if the phenomenon of this disagreement constitutes another burden on the researcher through the time he spends in investigating repeated cases, researching the vocabulary of texts, and deconstructing many narratives in a way that requires access to the truth he is looking for, and this gives a general impression of the trends that are recorded in it.

key words : The Age of alhayra , novelist history, The Age of alhayra, The term, the phenomenon, novel making, Imamate Shiites, religious crises.

الملخص :

اهتمت كثير من المصادر التاريخية والعقدية بدراسة عصر الغيبة على مختلف مشاربها الفكرية ومناحيها العقدية ، سواء كانوا عربا أم أجنبيا ، نظرا لأهميتها التاريخية ، إضافة إلى كونها جزءا هاما من التراث الإنساني ، فالمكتبة الإسلامية والأجنبية تزخر بمختلف ألوان الدراسات والبحوث التي توثق مختلف مراحل التدوين وترسم صور واضحة عن ذلك العصر ، وإن يشوب البعض منها الغموض وتحتاج إلى إعادة قراءه جديدة بما يقتضي مع مفهوم النص ودلالاته ، أو الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية التي دونت فيه ، وما تمخضت عنه بملامح يختلف البعض منها عن الآخر تبعا إلى المراحل التاريخية المعاصرة المختلفة التي دون فيه هذا النص أو ذاك ، وإن كانت ظاهرة هذا الخلاف تشكل عبئا آخر على الباحث من خلال ما يستنفذه من وقت في استقصاء الحالات المتكررة والبحث في مفردات النصوص وتفكيك كثير من الروايات بما يقتضي الوصول إلى الحقيقة التي يبحث عنها ، وهذا يعطي انطبعا عاما عن التوجهات التي سجلت فيه هذه الدراسات بغض النظر عن التوجهات المذهبية أو الانحياز إلى هذا أو ذاك.

الكلمات الافتتاحية : عصر الحيرة ، المصطلح ، الظاهرة ، التاريخ الروائي ، الشيعة الامامية ، الازمات الدينية ..

المقدمة

اهتمت كثير من المصادر التاريخية والعقدية بدراسة عصر الغيبة^(١) على مختلف مشاربها الفكرية ومناحيها العقدية ، سواء كانوا عرباً أم أجنبياً ، نظراً لأهميتها التاريخية ، إضافة إلى كونها جزءاً هاماً من التراث الإنساني ، فالمكتبة الإسلامية والأجنبية تزخر بمختلف ألوان الدراسات والبحوث التي توثق مختلف مراحل التدوين وترسم صور واضحة عن ذلك العصر ، وإن يشوب البعض منها الغموض وتحتاج إلى إعادة قراءة جديدة بما يقتضي مع مفهوم النص ودلالاته ، أو الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية التي دونت فيه ، وما تمخضت عنه بلامح يختلف البعض منها عن الآخر تبعاً إلى المراحل التاريخية المعاصرة المختلفة التي دون فيه هذا النص أو ذاك ، وإن كانت ظاهرة هذا الخلاف تشكل عبئاً آخر على الباحث من خلال ما يستنفذه من وقت في استقصاء الحالات المتكررة والبحث في مفردات النصوص وتفكيك كثير من الروايات بما يقتضي الوصول إلى الحقيقة التي يبحث عنها ، وهذا يعطي انطباعات عامة عن التوجهات التي سجلت فيه هذه الدراسات بغض النظر عن التوجهات المذهبية أو الانحياز إلى هذا أو ذاك ، وهذا ما نستقرئه في كثير من الدراسات التي أخذت مضامين مختلفة تعبر فيها عن الاصطفاف الأيديولوجي أو المذهبي الذي بدوره يقسم مناطق البحث إلى مناحي بعيدة عن المحتوى العام ، وخاصة إذا كان موضوع البحث يسير في خطى واتجاهات مختلفة وتيارات متعددة ، إذ شق يرى بوجود هذه الظاهرة "الغيبة" وهي واقعها فعلاً ويقدمها عن غيرها من الاجتهادات الفكرية ، وبين نخبة تعتقد بأن الأمر لم يأخذ مساراته الحقيقية التي أشار لها الرسول محمد (صلى الله عليه واله) وما يثار مجرد ادعاءات لا سبيل لها من الصحة^(٢).

بين هذا وذاك تبقى الحاجة إلى مفاهيم وآليات لاستكشاف النصوص التي لم تظهر بشكل جلي وواضح ، إلا مع ولادة دراسات استقصائية ، تأخذ بعين الاعتبار الأطروحات التي ذكرناها آنفاً وتعيد صياغة المشهد العقدي بالكامل بما يقتضي الوصول إلى قاع الحقيقة ، وفتح الباب على مصراعيه أمام مختلف الباحثين من أجل إجراء دراسات أكثر عمقاً وحيادية ، ولأزال هناك كم كبير من المواضيع تحتاج جهد مضاعف وحرفيه في التعامل معها ، والأمر لا يخلو من مجازفة محفوفة المخاطر.

اولا : التراث الروائي للشيعة قراءة أولية

من اجل الدخول إلى محتوى الدراسة يجدر بنا التعمق في ظاهرة قراءة النصوص الدينية والعقدية ، قد يرى البعض فهم النص الديني حكرا على طبقه معينه دون ذاتها ، فهم يرون ان فهم النص ما ممكن الوصول له بسهولة دون ان يمتلك الفرد مجموعة من المعارف والعلوم الخاصة، في اختصاص فئة واحدة وكأنه علم مغلق على أهله ويصبح الآخرون جميعا غير قادرين على فهم هذا العلم. وبذلك يغلقون الطريق أمام الآخر^(٣)، وهذا بالتأكيد لا يعني من أن يكون النص الديني وصل أعلى مراحل شكلاً ومفهوماً، وهذا عائد إلى جملة أسباب ومحركات لسنا بصدد البحث عنها ، مع العلم ان النص هو مفهوم متنازع عليه .إنها مسألة التنظير النشط ، مثل أي مفهوم ما وراء الفكر في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بما في ذلك "المناهج" و "نظرية المناهج". هذا التنافس المستمر هو عملية فكرية صحية تدل على ما إذا كان الجدل "حيًا" أم "ميتًا". بمجرد أن تهدأ المعارك الفكرية حول المفهوم أو النظرية وتستنزف الحياة من المناقشات ، بحيث يصبح المفهوم مؤسسياً ، متحجراً ، وفقط مسألة ذات أهمية تاريخية. ومع ذلك ، من غير المحتمل أن يحدث هذا على الإطلاق مع مفهوم "المناهج" الذي يعتمد على المفاهيم المتنازع عليها "النص" و "الخطاب" و "النوع".

جهد علماء الإمامية بتجميع بيانات وتطوير نظريات لشرح العقائد وأنشطتهم لأكثر من اثني عشر قرناً ، ولا يزال هناك الكثير من الألفاظ ولا يزال هناك الكثير من الدراسات ؛ ولكن الفجوات في معرفتنا هي نتاج وقت وموارد وفرص محدودة. لا يوجد شيء جوهري غير شاحب الفهم أو التهديد حول "العقيدة" كموضوع للتحقيق، والتراث الشيعي بصوره عامه والإمامي بصورة خاصة يضم الكم الكبير من النصوص على الرغم من ضياع الكثير منه لأسباب غير خافية على الباحث المتبع لتطور التشيع وعبر مختلف المراحل التاريخية ، مما ترك فجوة عظيمة لا يسدها شيء في كثير من الأبحاث العلمية سواء في الفقه أو الحديث أو الرجال أو التراجم أو السير أو التفسير وغيرها^(٤).

إذ ان دراسة التراث الشيعي والتغيرات التي طرأت عليه عبر مراحل التاريخ، تولد فكرة واضحة عن تطور فهم الإنسانية واستيعابها لمجمل التطورات التي شهدتها المدرسة العقدية الشيعية بما يعكس صورة قد تكون اقرب إلى الواقع، ومما لاشك فيه ان عملية

الإدراك الكلي لا زال في مشواره الأول لأجل الإحاطة بجميع جوانبه ، حيث يخيم عليه الضبابية والتأشبك في المفردات في مجمل هذه النصوص التي تضع عليها كثير من المؤشرات.

ومن هنا نجد ان التراث الشيعي المتعلق بمفهوم الغيبة والتراث المتعلق بهذه الحادثة امتد على مساحة زمنية امتدت لأكثر من اثني عشر قرناً ، وخلال هذا العمر الزمني تطوّرت فيها الأفكار والمعارف والعلوم. وهذه الامتدادات الزمنية تتطلب أدوات فاعله في البحث والتقصي ، من حيث دراسة مجمل الظروف والمؤثرات ومناخات التي دونت فيه هذه النصوص في مجمل المتغيرات السياسية والاجتماعية ومراحل تطور المعرفة والفكر والأحداث التي لازمت عملية التدوين.

وما لاختلاف فيه ان التراث الشيعي جزء لا يتجزء من تراث الإسلام وما يمكن فصله بأي صوره من الصور وان نظر له الآخرون بمعزل عن تأثره وتفاعله مع التراث الإسلامي ، ووضعوا أحياناً نظريات مذهبية تحذر في التعامل معه بل وحشدت العامة بضرورة نبذه وعدم الانسياق وراء أفكاره لما يمثل من صورة مشوهة لا تمس للإسلام بصلة ، وهذا كله عائد لأسباب متعددة يأتي في مقدمتها التيارات المذهبية والفكرية المتصارعة في حينه وحسّم الصراع ضد أحدها.

وهذا الجانب شكل مسألة خطيرة في الساحة الفكرية ، إذ تراجع البحث العلمي ليخلو الميدان للخطاب التعبوي المذهبي، الذي كلما اشتد وأصبح أقوى كلما تقلصت مكانة العقل والفكر العلمي النقدي في بنية التراث الإسلامي. مما أسهم إلى حد كبير في ولادة الحركات السلفية التي عملت بما أوتيت من قوه لغلق كل وسائل التزاوج العقلي وغلق الباب على مصراعيه ، وسار الأمر بنهاية طبيعية كما متصور لها التشتت وإعادة إنتاج التخلف ، وظل العقل الإسلامي في أطر ومفاهيم مذهبيه ، ولم يتجدد بذاته كتمارسه نظرية عقلانية، بل كانت نتاجاته المتوقعة ان يتحول من دائرة الصراع الفكري إلى الاقتتال المباشر بين أتباع المذاهب ، وعليه مكث العقل الإسلامي في صندوق الرتبة مما شكل حائلاً دونه والتجديد والإبداع^(٥).

وعليه عملية متابعة التراث الشيعي بصورة خاصة والإمامي بصورة عامه ليس بالسهولة المتوخاة وكما يتوقعه البعض واشرنا إلى مجمل حديثنا المتقدم^(٦)، إذ هناك

مجموعة من الأسباب التي تحيدني بل تحيد الآخرين في الكتابة والتقصي عن هذه المواضع:

الأول مرتبط بنظريه عقديه يجتمع حولها كثير من الطوائف الإسلامية ، يمكن أن نقول ، الأول مبني على معتقداتنا الأساسية في نظرة متسقة وشاملة ومنهجية. وبالتالي ، ينطوي عملنا على صياغة فهم حقيقي إلى هذه الظاهرة دون المس بكثير المحتويات التي يعتبرها الآخر خطأ أحمر ما ممكن التجاوز عليه ومهما كانت الأسباب ؛ لأنها تسعى إلى جعل ما تؤمن به متسقاً باستمرار ، وإكمال الصورة التي لدينا عنها من خلال رسم آثار تلك المعتقدات ، وتقديمها إلى التدقيق النقدي. هذا أمر مطلوب لأن وجهات نظرنا كباحثين متشظية وتحتوي على تناقضات وأخطاء ، وما ممكن التسليم إلى هذا أو ذاك دون البحث المعمق المتحذر، والتي تنتج في كثير من الأحيان عن مقاربه أوليه تعبد الطريق أمامنا من اجل الوعي بحدود معتقدات الآخر والقبول غير النقدي لتلك المعتقدات.

إذا فإن وظيفة المؤرخ بناءة وناقدة ، أي : بناء بقدر ما يسعى المؤرخون إلى تجميع رؤية منهجية للموضوع أو أي من أجزائه تكون متسقة وشاملة، ومن الأهمية بمكان كما هو الحال عند القيام بذلك ، اذ يجب أن تكون دراسة بشكل نقدي مع وجهات النظر المختلفة التي يحملونها ، ورفض تلك التي لا تصمد أمام التدقيق العقلاني الناقد ولا يمكن أن ينتقد بدون شيء ، ولا يمكن لمشئ التجذر أن يبني بشكل فعال بدون العين الناقدة الساهرة.

والسبب الثاني الذي يدعم عملنا في جمع النصوص ومتابعتها ، فهذا له متعة جمالية أخرى مستمدة من محاولة تطوير محتوى الدراسات المستقبلية التي تخص هذه المواضيع ، ويمكن اعتبار هذه المهمة تناشد الحرفي فينا ؛ إنه يشبه حرفة بناء شيء ما ، وبالتالي ، فإنه يرضي الرضا المستمد من كل إنجاز شيء ملموس ومن التفكير في منتج نهائي ، و يمكن اعتباره فيما بعد منتجاً مكتملاً.

أخيراً ، هناك سبب عملي آخر يمكن ان نطلق عليه بناء المشكلة ، لأن بناء المشكلة يكشف ويعمق فهم المرء للقضايا التي يهدف الباحث إلى حلها. الحقيقة ليس من السهل جداً ملئ الفراغات دون الأخذ بالاعتبارات السابقة ، لأنها بأي حال من الأحوال يجب

اعتبارها كنقطة انطلاق ، بديلاً من ذلك بالنسبة للعديد من الأسئلة المتعلقة بالموضوع الذي يتناوله ، وكثير منها لا تزال دون إجابة وهذا سيضع مساحه واسعه للآخرين أن يستمروا في النقطة التي أغادر منها، أو حتى أن أبدأ من جديد إذا اعتقدوا أنه يجب عليهم تجاهل كل ما اقترحته. ولا يقصد من هنا إنهاء المناقشة بل الترويج لها ، وسأعتبر نفسي راضياً إذا فعلت ذلك.

أما السبب الثالث فيما يتعلق بجوهر المشكلة ، يجب أن أشير إلى أنها تسترشد بالاعتناع ، استناداً إلى تجربتي والحجج التي أفحصها ، بأن النصوص هي قطع أثرية ذات دلالة ذات صلة فيما يتعلق بالمؤلفين والجماهير ، وتلعب السياقات أدواراً مثيرة للاهتمام ومتميزة. وبالتالي ، من الضروري في رأيي أن يتم الحفاظ على التمييز المناسب بين مفاهيم النصوص ، والكيانات التي تشكل النصوص والمعاني والتفسيرات. من المهم أيضاً التمييز بين النصوص من الأعمال وتحديد كيفية ارتباط النصوص ومعانيها بالمؤلفين والجمهور والسياقات المرتبطة بها أصلاً.

من هنا القول ان الفهم الواضح للنص الإمامي يتطلب فهم هذه الفروق والعلاقات المذكورة أعلاه. بشكل عام ، وبتصوري بأن معظم الارتباك الذي يحيط بالنصوص في الوقت الحاضر هو نتيجة لثلاثة عوامل:

الأول : الفهم الضيق لها ، والذي هو بدوره نتيجة للنهج الجزئي وغير المنهجي للنصوص ، وكذلك التمييز بين النصوص من الأعمال وتحديد كيفية ارتباط النصوص ومعانيها بالمؤلفين والجمهور والسياقات المترابطة بها ، اذ يميل المؤلفون المعاصرون إلى رؤية النصوص ضمن معلمات ضيقة ، في ضوء أنواع معينة من النصوص ، متجاهلين أنواعاً أخرى ويفتقدون ثراء الفئة؛ ونتيجة لذلك ، تبدو وجهات نظرهم محيرة ومربكة عند النظر إليها فيما يتعلق بالنصوص الأخرى. ويتجلى هذا بشكل خاص في أولئك الذين يأخذون النصوص التاريخية أو العقدية على شكلها الحالي دون تفحصها وبالتالي يفرضون بشكل عشوائي لا يطابق محتوى الأصل للنص فتكون نتائجهم مخالفه لطبيعة الحدث الذي فيه النص^(٧).

العامل الثاني : وهو يعد من دعائم البحث عدم وجود تمييز صحيح بين القضايا المنطقية والمعتقدات التي شابها كثير من علامات الاستفهام والتعجب في شكلها المعرفي والتاريخي. والمتعلق بمفهوم النص كما لو كانت أسئلة معرفية حول تمييز المفهوم. وأخيراً فيما يتعلق بالعامل الثالث ، فإن جزءاً كبيراً من الارتباك الموجود في الأدبيات الشيعية هو نتيجة لعدم وجود أساس سليم للأسئلة المعرفية حول تحليلات النصوص.

وعليه لتجنب الارتباك الناتج عن العوامل الثلاثة المذكورة آنفاً، سأعمل أولاً أن أطور نظرة واسعة وشاملة للنص الذي يمكن أن يفسر معظم تجاربنا العادية للنصوص دون ممارسة السطوة على خصوصية أنواع معينة من النصوص.

لقد أدخلت تمييزاً واضحاً بين الأسئلة التي تتداخل مع مفردات البحث، التي تهم معظم المؤرخين المعاصرين. لكن حجم وتكلفة مثل هذا الحجم كان يمكن أن يكون ممنوعاً. أو يكون مفاجئاً لبعض القراء في عدم وجود عدد كبير من المراجع في نص الكتاب لمؤلفين معاصرين أو المتقدمين. كما المنهج المتبع عند البعض، اذ يجب أن يكون النتاج نصاً معمقاً تاريخياً ضمن المساحة التي حاولت ان افرد جهدي بها ، بالإضافة إلى ذلك إلى القلق المتزايد الذي يلاحقني بشأن الدقة التاريخية الذي ابحت عنها في كل سطر أدونه.

يتناول هذا البحث المصادر المبكرة لتاريخ الغيبة من منظور روائي ، يمكن فحص التراث اللفظي من ثلاث وجهات نظر: قالب والأسلوب والمحتوى لهذه الدراسة ، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الأبعاد المختلفة لكل الأعمال المتقدمة التي اهتمت بهذا المضمون ، يمكن أن تساعدنا في تحديد موعد كتابة الأعمال التي لا تعرف هوية مؤلفيها ، وكذلك تحديد مؤلفي هذه الأعمال .

عندما ننظر إلى تاريخ الروائي الشيعي وبالأخص الإمامي منه من هذه المناظير الثلاثة ، يمكننا تقسيمه إلى أربع فترات عامة: مرحلة التأسيس ، والمنافسة مع الخصوم ، والفترة المعاصرة . وتتألف فترة التأسيس نفسها من ثلاث فترات فرعية : التكوين والنظرية والمجتمع . من وجهة نظر عقدية ، ويمكن من خلالها تصنيف التراث اللفظي لكل مرحلة إلى فئات مختلفة . ويتابع في هذا البحث أن جزءاً كبيراً من التراث العقدي لنظرية الفترة

الضائفة ويشير إلى العوامل الإيجابية والسلبية لهذا النقص في المصادر التي تناولت هذه المرحلة ، وفحص إمكانية إعادة بناء إرث هذه المرحلة.

ثانياً : عصر الحيرة

إشكالية المصطلح والمفهوم

من المؤكد أن مصطلح "عصر الحيرة" دراسة محورية البحث في العقيدة والمجتمع منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وقلة من المصطلحات الفردية الأخرى كانت أكثر جوهرية في تحديد القضايا الأساسية للثقافة والمجتمع والعقيدة. الآن ، ومع ذلك ، أصبح هذا المصطلح موضوع اهتمام في حد ذاته ، ليست مجرد أداة لفهم الظواهر العقيدية والاجتماعية الأكثر تبنياً. في الواقع ، بل أصبح في وقت واحد موضوعاً ، وطريقة ، لوضع مناهج جديدة في المشهد العقد الإمامي. وبالنظر إلى تاريخ ونطاق الجاذبية لهذا المصطلح ، فقد يحتاج إلى إعادة النظر من أجل خلق منهج في التفكير النقدي الممتد.

يبدو أن أي عملية شاملة لإعادة التفكير في هذه المفاهيم الأساسية تنطوي على ثلاث عمليات وثيقة الصلة ببعضها البعض: أولاً ، تفكيك التعاريف التاريخية للمشكلة أو القضية وتحديد الظروف التي كانت المشكلة فيها مشكلة بالنسبة لنا ؛ ثانياً ، اقتراح منظور تفسيري للمسألة يمكن الفئات الثقافية لدينا من الانخراط والمشاركة في المواد التي يتم تناولها ؛ وثالثاً ، توسيع هذا المنظور ليشمل التطبيقات والأمثلة الحقيقية من أجل استكشاف العلاقات بين القضايا غير ذات الصلة حتى الآن ، مع ملاحظة إن أفكار علماء الإمامية لها معاني أوسع من تلك التي حددها الآن الاستخدام المعاصر ، بحيث أرست في نهاية المطاف التفسيرات التي تعكس بشكل أساسي المنهج الإمامي ، بشكل قوي جداً هو ما يسيطر على المفاهيم العامة للإيمان العقدي ، لدرجة أن الباحثين في هذا العمل الذين بدأوا في تحقيق هذه الأعمال ويكتشفون أنهم ما زالوا بحاجة إلى نصوص جديدة ، على الرغم من أنهم لم يعودوا مقتنعين بواقع تلك النصوص لحجم التغيرات التي طالتها.

السياق اللغوي لهذا المصطلح كان شبه إجماع من المدرسة اللغوية على معنى واحد لا يختلف عليه اثنان في تفسير وبيان المعنى اللغوي لمصطلح "الحيرة" إلى الجذر "حير" من

"حار بصره يحار حيرة وحيرا ، وذلك إذا نظرت إلى الشئ فغشي بصرك ، وهو حيران تائه" (٨).

أما اصطلاحاً تأتي من التردد والاضطراب ، وعدم تبين طريقه والاهتداء إليه ، وعدم الوصول إلى نتيجة يقينية^(٩) ، وهي خطوة أولى ضرورية في الجهد المبذول للوصول إلى نقطة أكثر وضوحاً ورؤية الطريق الصحيح خاصة عندما يبدو أنه ضائع ، في لحظة من الحيرة المطلقة ، عندما يتوقف العقل عن العمل ، ويكون غير قادر على حل أو إيجاد إجابة لمأزق روحي معين.

المعالجة القرآنية كانت حاضرة إذ ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة (حيران) في قوله تعالى: (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ)^(١٠) ، ويشير في دلالاته إلى حالة التردد وعدم الوقوف على الحقيقة.

وفي نفس الوقت كذلك ، الانطباع الآخر لكلمة الحيرة قد تأخذ مساحات فكرية مختلفة عما ذكر في مصادر اللغة ، فإن حالة الحيرة أساسية أيضاً للبحث عن البصيرة . وإنها خطوة أولى وضرورية في الجهد المبذول للوصول إلى نقطة أكثر وضوحاً ورؤية الطريق الصحيح خاصة عندما يبدو أنه ضائع.

ومن هنا جاءت عدة مصنفات من قبل علماء الامامية^(١١) في التصدي لهذا الموضوع ورفع الشك والحيرة بين القاعدة الامامية التي اخذ يمزقها حالة التشطي ، فقد ألف أبو العباس عبد الله بن جعفر القمي المتوفى سنة (٣٠٠هـ) كتاباً أسماه: "الغيبة والحيرة" ، وألف الفقيه المحدث علي بن بابويه القمي المتوفى سنة (٣٢٩هـ) كتاباً أسماه: "الإمامة والتبصرة من الحيرة" ، وبادر كذلك أبو الحسن سلامة بن محمد بن إسماعيل الأزوني المتوفى سنة (٣٣٩هـ) إلى تأليف كتاب "الغيبة وكشف الحيرة" ، وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بالصفواني (كان حياً ٣٥٢هـ) له كتاب "الغيبة وكشف الحيرة" ، ومن المؤلفات المهمة في هذا الحقل كتاب الشيخ الصدوق^(١٢) : "كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة" ، وضعوا القواعد الأولى لفكرة الغيبة وأسباب الحيرة وموجباتها في عنوان منفرد ، وعللوا الدواعي لهذا الخلاف الواقع في نفوس الشيعة الإمامية بعبارات توضح حجم طبيعة الصراع النفسي والعقدي الذي أصاب المجتمع ، ويمكن ان نركز على احد المصنفين المتقدمين وهو ابن بابويه في مقدمة

كتابه الذي اوضح الظروف المعقدة و كشف حالة الانقسام الواضحة على المجتمع الشيعي اذ قال: " فلأجل الحاجة إلى الغيبة اتسعت الأخبار ، ولمعاني التقية والمدافعة عن الأنفس اختلفت الروايات " وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ". ولولا التقية والخوف ، لما حار أحد ، ولا اختلف اثنان ، ولا خرج شئ من معالم دين الله - تعالى - إلا على كلمة لا تختلف وحرف لا يشبهه ^(١٣).

ويمكن ان نصل إلى مفاصل المعنى العام للمصطلح "الحيرة" والذي يشير إلى حالة من الارتباك الفكري والمعرفي، عندما يتوقف العقل عن العمل ؛ لأن الحائر هو من لا يعرف اليقين الذي يركن إليه وينقذه من حيرته ويكون غير قادر على حل أو إيجاد إجابة لمأزق روحي معين في ظل التأثيرات التي يتعرض لها داخلية أو خارجية.

أما مردفات هذا المصطلح قد تكون متغيرة الحروف ولكن متوحدة في المعاني والمنطقات العقلية التي تصيب الحائر فمثلاً تأخذ مفردة: غير مؤكد ، غير متأكد ، مشكوك فيه ، مريب ، مؤقت ، غير مقتنع ، متشكك ، متشكك ، يميل إلى التفكير، الاعتقاد ، الموافقة ، إلخ.

في إعادة القراءة لهذا المصطلح ، من خلال ما ذكره اللغويين وارتباطه الفهمي بمسيرة العقيدة تشكل هذه العمليات ثلاث مراحل من الجدل الذي يمتد إلى الأقسام التالية. تكشف المرحلة الأولى عن بناء مصطلح الحيرة كهدف للتحليل ، وبالتالي تكشف عن المشاكل التي تجسدت لنا في المصطلح والخطاب عليها. المرحلة الثانية تصوغ تفسيراً لتلك المشكلة التي تقدم بشكل انعكاسي تحليلاً لظروفها الخاصة كتفسير. والمرحلة الثالثة ، من خلال تطبيق هذا التفسير على مجال القضايا المترابطة ، تحاول إنشاء إطار مفتوح ولكن متماسك لرؤية علاقات جديدة بين القضايا التقليدية ، دون إغفال الطبيعة الطارئة والمحددة لهذا الإطار.

مشكلة المصطلحات من المعترف به جيداً في مجال الدراسات العقديّة يعاني هذا المجال من الدراسة من صعوبات كبيرة ومستمرة. أولاً وقبل كل شيء ، هي مشكلة المصطلحات المربكة والغامضة التي كان أصلها يعود لعقود عديدة ، أجرى مفكري الإمامية أبحاثاً حول ما كان يُطلق عليه اسم "الحيرة" ^(١٤). تناولت هذه الأبحاث المصطلح في عصور مبكرة. وتم استخدام الكلمة في النهاية للتعبير عن فكرتين متميزتين تماماً،

ركزت على الكشف عن الأسرار السماوية. لما يعود على هذا التعريف فكرة الغيبة و نهاية العالم^(١٥). من ناحية أخرى ، تم استخدامه كذلك "عصر الحيرة" أيضاً لوصف حالة التشتت والانقسام التي أصابت المجتمع الإمامي^(١٦). أدى هذا المعنى المزدوج للمصطلح^(١٧) نفسه حتماً إلى ارتباك دلالة. نظراً لأن الكلمة نفسها غطت مفاهيم مختلفة تماماً، ونوعاً أدبياً ووجهة نظر متعددة ، فقد كان من الصعب غالباً تحديد الصورة الواقعية داخل المجتمع. لهذا السبب تخلى عدد من العلماء عن المصطلحات السائدة آنذاك وحاولوا تقليل الارتباك بالوصول إلى مجموعة جديدة من المصطلحات الوصفية.

المسح الأولي لمحاولات أخرى لتعريف "مصطلح الحيرة" وشرحه سيئين على النقيض ما هو مختلف عن نهجي الخاص. ليست لدي رغبة في نقض الآراء الأخرى. نظراً لأن جميع الظواهر الاجتماعية معقدة ، يمكن دائماً تحليلها من وجهات نظر مختلفة. إلى هذا الحد ، كل وجهات النظر لها مزاياها وعيوبها ونقاط قوتها وضعفها. لكن هذا لا يعني أن جميع مفاهيم السابقة قابلة للتعميم على قدم المساواة أو أن جميع نظريات التي شرحت هذا المصطلح لها نفس السلطات التفسيرية. على العكس من ذلك ، فإنني أ طرح نظريتي في الاعتقاد بأنها متفوقة على نظريات أخرى. بل إن هدي هو أن أعرض ، على أساس الخبرة التي اكتسبناها بمرور الوقت مع مناهج أخرى ، منظوراً تنبثق فيه وحدة منهجية معينة من تنوع الظواهر العقدية ، من الأهمية بمكان اقتراح تعريف ونظرية ليست مجرد نسخ مقنع من آراء علماء الشيعة الإمامية أو الاتجاهات الحالية بين افراد هذه الطبقة. اهتمامي الرئيسي هو تقديم تعريف عام جدير بالاسم. إن الشخص الذي يسعى وراء المصالح المعرفية الأخرى ويسعى لتركيز فهم معين سوف يمضي بشكل مختلف. لذلك ، عند هذه النقطة ، أقدم عرضاً موجزاً للنهج التي أتبعه بنفسي والتي أتبناها.

تأتي النظريات الإمامية حول عصر الحيرة متأصلة تماماً في الدراسات المبكرة. سواء تم تصويرها كظاهرة طارئة أصابت المجتمع الإمامي أو مجرد بناء عقدي أخذت مدياته خلال ظرف معين ، فإن مفهوم الغيبة يجسد ويدعم الخطاب الذي يتم وضعه فيه ، في الدراسات المبكرة لعلماء الإمامية ، المعنيون بالحفاظ على موضوعية تعريفات عصر الغيبة "الحيرة" - في الوجه ما أدركوا أنه تحيزات تفسيرية قوية - تميل إلى تحذيرنا من أن فكرة "الحيرة" هي مجرد أداة للتحليل. كأداة ، يجب منعها من الانزلاق من يد المحلل إلى

البيانات الموضوعية التي يحاول تفسيرها. ومع ذلك ، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن تشديد المصطلح لا يبدو أنه يمنع مثل هذا "الانزلاق" أو يحافظ على وضوح الحدود بين النظرية والبيانات. ولفهم هذا الانزلاق التفسيري وكذلك تنوع المواقف المتخذة فيما يتعلق به ، من الضروري الاستفسار عن الخطابات الأكبر التي تكون "عصر الحيرة" جزءاً منها.

الواقع الذي يعبر عنه هذه المصطلح "عصر الحيرة" هو في جوهره لا يتغير ؛ وبالتالي غير متمايز بالمعنى العقدي. الخلافات العقدية التي تراكمت على مدى ألف سنة سببها سوء فهم اللغة ، من قبل بعض الألسنة. غالباً ما نرى أن جانبيين في خلاف حول العقيدة مدفوعان بالرغبة في الحفاظ على نفس الحقيقة الداخلية ؛ لتجنب سوء الفهم هذا ، اتخذت بعض التيارات شكل تقليد غير مكتوب ، وكان من شبه المؤكد تجنب الخلافات العقدية التي تترافق مع سوء الفهم هذا حتى اليوم ، والذي ظل محتفظاً به أيضاً في بعض الأحيان ، ربما أصبح من الواضح بالفعل أن سبب هذا النقص في الشكل المدون ، وغالباً ما يكتنفه بعض التعقيدات والتأويلات في الفهم ، بسبب أسر العقل هذا ، أصبحنا غير قادرين على فهم الأشياء العقدية بصورة صحيحة. يرجع هذا الفهم ، جزئياً على الأقل ، لأننا لم نقبل أو حتى حاولنا فهم وجهة النظر العقيدة الحقيقية.

أنا لا أقدم تاريخاً شاملاً للمصطلح ، أو مراجعة انعكاساته على الوضع الشيعي ، أو استقصاء هذه الحالة على الرغم من أن هذه المشاريع البحثية قد تكون مفيدة. الغرض هو أكثر طموحاً وأكثر واقعية وكيف يمكننا صياغة اتجاه تحليلي أكثر قدرة على فهم كيفية مقارنة معظم هذه النصوص بأشكال أخرى من الإجراءات البحثية. لأجل صورة واقعية عن هذه حادثة "الغيبه" الذي أصبح المجتمع الشيعي يسير باتجاهين معاكسين متقبل ورافض هذه الفكرة^(١٨)، تظل مناقشتي مركزة على مستوى نظري صريح للتفكير حول هذه الظاهرة بدلاً من مستوى آخر مرتبط بالبيانات الإثنوغرافية. في حين أن العديد من الدراسات التي تناولت هذه المرحلة تأتي متأصلة في إثنوغرافية معينة ، فلا يوجد منها ما يقتصر على تفسير حجم انعكاساتها على مجموعة معينة فقط ، فإن التحليلات التالية لا تزال مجردة إلى حد ما.

نقطة البداية ليست مثلاً موضوعياً لهذا المصطلح بعدد من الأسئلة الذي أحاول تفسيره ، مثل الغيبة ، الحيرة ، أو السفراء الأربعة ، بدلاً من ذلك ، فإن نقطة البداية هي استكشاف ما يجعلنا نحدد انعكاساتها على العقلية الشيعية ومدى تقبلها ، وما تفعله هذه الشريحة لبقاء الحياة داخل هذا المجتمع أو النهاية الفعلية له كما جرى لكثير من المجموعات الشيعية التي ذابت واندثر ذكرها ، هنا يمكننا النظر بواقعية للمجتمع الامامي خلال هذه المرحلة التي أطلقوا عليها بـ "عصر الحيرة" وأصبح تاريخاً يشار له لبعض الروايات وأحوال بعض الرجال وحالهم^(١٩) ، على ما نقله الشيخ الكليني في باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم ، قال : "وحدثني محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله (البرقي) ، عن أبي هاشم مثله سواء . . قال محمد بن يحيى : فقلت لمحمد بن الحسن : يا أبا جعفر وددت أن هذا الخبر جاء من غير جهة أحمد بن أبي عبد الله ، قال : فقال : لقد حدثني قبل الحيرة بعشر سنين^(٢٠) . ظاهر الرواية تشير الى أن البرقي صار متحيراً في أمر الإمامة ، أو خصوص إمامة المهدي ، وأجاب عنه نقاد الأحاديث بوجوه متعددة^(٢١) ، وحدد الشيخ النوري الغاية والمراد منها لتدوين المصنفين لها إذ عد مصطلح الحيرة مرادف لمصطلح الغيبة ؛ ولذلك يسمى زمان الغيبة زمان الحيرة لتحير الناس فيه من جهة غيبة الإمام ، ويرى الشيخ ارتباطي المصطلحين بتفسير واحد : " وإنما المراد بالحيرة زمن الغيبة ، وهي السنة التي مات فيها العسكري (عليه السلام) وتحيرت الشيعة ، ومن طالع الكتب التي صنفت في الغيبة ، علم أن إطلاق لفظ الحيرة على مثل ما قلناه شائع في كلامهم^(٢٢) .

أو حسب تعبير النعماني وقوع الاختلاف والشك وتفرق الكلمة بعد غيبته أسهم بانشقاق عدد غير قليل من الشيعة الإمامية ولم يبق على قوله "إلا النزر اليسير"^(٢٣) ، بينما صورها آخرون بالفتنة التي امتحنت بها الشيعة^(٢٤) . ارتباطي المصطلحين "الحيرة والغيبة" : " وإنما المراد بالحيرة زمن الغيبة ، وهي السنة التي مات فيها العسكري (عليه السلام) وتحيرت الشيعة ، ومن طالع الكتب التي صنفت في الغيبة ، علم أن إطلاق لفظ الحيرة على مثل ما قلناه شائع في كلامهم^(٢٥) .

من خلال البناء السابق لهذه المفاهيم يبدو أن أي عملية شاملة لإعادة التفكير تنطوي على ثلاث عمليات وثيقة الصلة ببعضها البعض: أولاً ، تفكيك التاريخي

للمشكلة أو القضية وتحديد الظروف التي كانت المشكلة فيها مشكلة بالنسبة لنا ؛ ثانياً ، اقترح منظور تفسيري للمسألة يمكن الفئات الاكاديمية لدينا من الانخراط والمشاركة في المواد التي يتم تناولها ؛ وثالثاً ، توسيع هذا المنظور ليشمل التطبيقات والأمثلة الحقيقية من أجل استكشاف العلاقات بين القضايا غير ذات الصلة حتى الآن في إعادة التفكير في رسم المجتمع الشيعي. وهذا الأمر يتطلب بحثاً مختصاً حول هذه المرحلة التي لازلت في طور النمو البحثي ؛ لأنها لم تستطع ان تجيب على كثير من الاسئلة ، أو حالة الاجترار الواضحة في كثير من الدراسات السطحية التي لحد هذا الوقت لم تنضج أدوات البحث فيها، فلا شك ما اثير من نظريات خلال القرون المبكرة لعصر الغيبة تفرقت كثيراً لما هو عليه الآن فلكل وقت ظرفه ومحتوى فهمه للحدث ، حيث لم تعد الإجابات التي قدمها كثير من الكتاب في هذا الموضوع شافية، بل عززت الأمية المتزايدة ، في ظل التطور الحاصل بالإنتاج النصي ، وتداول الأفكار.

لذا ان القيام بهذه المراحل الثلاث من الجدل الذي يمتد إلى الأقسام التالية. تكشف المرحلة الأولى عن بناء مفهوم الحيرة كهدف للتحليل، وبالتالي تكشف عن المشاكل التي تجسدت لنا في المصطلح والخطاب عليها. و تصوغ تفسيراً لذلك.

ثالثاً : الظاهرة ودواعي التسمية

لازمت المجتمع الإمامي الحيرة إلى منتصف القرن الرابع الهجري وأخذت رقعة جغرافيه واسعة وخاصة في مناطق المشرق الإسلامي الذي يدين فيه عدد غير قليل منهم بالتشيع حيث أشار الشيخ الصدوق في مقدمة كتابه (إكمال الدين) إلى حالة الحيرة التي عصفت بالشيعة وقال: (إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا : أنى لما قضيت وطري من زيارة علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها ، فوجدت أكثر المختلفين إلي من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة ، وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقائيس ...) (٢٦).

لم يقف الأمر عند حدود الحيرة والشك بل وصل الأمر إلى مديات أوسع وأشد خطورة هددت الكيان الشيعي الامامي في الوجود ؛ حالة الانقسام والتشظي بصفوف المجتمع أدى إلى ان يكون أمام عاصفة شديدة وتحديات كبيرة دفعت في حالة من الانقسامات والانشقاقات مما أسهم في ظهور فرق جديدة انبثقت من الرحم الإمامي

عدها البعض أربعة عشر فرقة أو أكثر^(٢٧) ، وعاصر كثير من مؤرخي عصر الحيرة أحداثها ومحاضاتها حتى عبر النعماني عنها بصورة لافتة للنظر توضح عمق المشكلة التي انزلق بها البعض اذ يقول : (من تاه وتحير وافتن وانتقل عن الحق وتعلق بمذاهب أهل الزخرف والباطل)^(٢٨) ، إلى جانب النشاط الذي شهدته بعض الفرق الشيعية كالإسماعيلية والزيدية إضافة إلى المعتزلة ، التي وجدت ارض خصبة لنشر تعاليمها واستغلال حالة تشتت عند البعض في ظل هذه الظروف العصيبة والحيرة التي وقع بها العامة من اجل كسب اتباع لها ، ومن أمثلة ما ذكره الكليني عن الحسن بن الفضل بن زيد اليماني قال : (كتب أبي بخطه كتابا فورد جوابه ثم كتبت بخطي فورد جوابه ، ثم كتب بخط رجل من فقهاء أصحابنا ، فلم يرد جوابه فنظرنا فكانت العلة أن الرجل تحول قمرطيا)^(٢٩) ، في حين اعتبر الصدوق الزيدية (اشد الفرق علينا)^(٣٠) ، وهذا الخزاز القمي ابن القرن الرابع الهجري يوضح حالة السجال مع المعتزلة يقول : " أما بعد فإن الذي دعاني إلى جمع هذه الأخبار عن الصحابة والعترة الأخيار في النصوص على الأئمة الأبرار أنني وجدت قوماً من ضعفاء الشيعة ومتوسطيهم في العلم متحيرين في ذلك ومتعجزين ، يشكون فرط اعتراض الشبهة عليهم ، وزمرات المعتزلة تلبساً وتمويهاً عاضدتهم عليه ، حتى آل الأمر بهم إلى أن جحدوا أمر النصوص عليهم من جهة لا يقطع بمثلها العذر ، حتى أفرط بعضهم وزعم أن ليس لها من الصحابة أثر ولا عن أخبار العترة... " ^(٣١) ، هذا النص يظهر اثر إشكاليات المعتزلة في مسألة الغيبة ، والزعزعة التي أحدثتها في نفوس بعض الضعفاء من الشيعة حسبما أشار الخزاز القمي .

قرنت معظم المصادر بين حادثتي الغيبة والحيرة وأصبحتا متلازمتان في كثير من النصوص والدراسات المبكرة التي تناولت هذه الفترة ، والنصوص الأولى الواردة في الروايات عن أئمة أهل البيت كانت تشير الى هذا المعنى المتقدم وتنبأت في حالة الوضع الذي سيؤول عليه المجتمع الشيعي من حالة الارتباك وعدم وضوح الرؤيا ، مع العلم ان هذه الظاهرة لم تأخذ مدياتها إلى المجتمع الشيعي بتلك السهولة على الرغم من المقدمات المبكرة في الموروث الروائي لظاهرة الغيبة. ومن الطبيعي جدا ان يكون هناك الاختلافات بين التصورات الفردية للواقع الجديد وهي ليست عشوائية. سيعتمد التباين على عوامل مثل الخصائص الفطرية للناس وتجاربهم السابقة وآمالهم ومخاوفهم واهتماماتهم

وافتراضاتهم وقيمهم وتوقعاتهم والموقف الاجتماعي الذي يرون منه الواقع الذي يواجههم. سيعرض الحالة الجديدة من منظور واحد.

ما الذي تشترك فيه هذه المقاربات من حيث المحتوى والمنهجية التي تسمح لنا بشكل شرعي بتجميعها تحت نوع واحد؟ من وجهة نظري ، يشتركون في طريقة لفهم الحيرة في المقام الأول على أنه "فكرة الغيبة" ، ليس كل هؤلاء الكتاب يستخدمون مفهوم "الحيرة" ، لكنهم يستخدمون مصطلحات أخرى تتوافق معه كمصطلح "الغيبة" التي اشرنا له.

من جهة أخرى العديد من الاختلافات تجعل من الصعب فهم كثير من النصوص الروائية اليوم : مصطلحات مختلفة ، الاختلافات في الأسئلة التي طرحوها في ذلك الوقت ، الاختلافات في النصوص بمرور الوقت وبسبب أخطاء في النسخ ، وتحول المعنى الذي يحدث عندما لا تكون هذه الأفكار وضعت موضع الدراسة. وبسبب هذا ، فإن القليل من هذه المعرفة المبكرة يفهم اليوم ، وما تم فهمه تم استيعابه تماماً في الفكر الحديث ، مشوهة ومشتتة للغاية من خلال محاولة "تصحيحها" لتناسب وجهات النظر العلمية في عصرنا لدرجة أننا لا نتعرف على أصولها. ومع ذلك ، فقد بقي الكثير من هذه الدراسات بأشكال مختلفة. البعض منهم لا يزال في التيار الرئيسي للدراسات الدينية ، ينجو البعض في دراسات ناضجة في مجال تواريخ العقيدة ، ولأسباب تاريخية ستصبح واضحة مع مرور الوقت وانكباب الباحثين عليها ، بينما لازال البعض منها مغلفة في بطون المكتبات ، ومع ذلك ، إذا كان المرء على استعداد للتحرر من حدود التخصص ، فهناك عدد من المصادر التي يمكن استرداد هذه المعرفة القديمة منها ، وليس دائماً في شكل مجزأ.

وهنا يجزنا الحديث المتقدم إلى سؤال الذي يأخذ مساحته في بحثنا هذا لماذا لم يتجنب الأفراد الوقوع في منزلق الحيرة على الرغم من النصوص المبكرة التي وردت عن أئمتهم وتحذيرهم منها ، فعلى المثال وسأختار نصين مهمين يشيرا إلى هذه الظاهرة ، ففي حديث مرفوع عن الإمام الباقر يحدث فيه أحد أصحابه عن غيبة المهدي إذ يقول "القائم شبه من يوسف قلت : وما هو ؟ قال : الحيرة والغيبة ، يكون له حيرة وغيبة تضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون" (٣٢) ، وفي حديث كذلك عن الإمام العسكري يقول : " في سنة مائتين وستين تفرق شيعة وفيها قبض أبو محمد عليه السلام ، وتفرقت شيعة

وأنصاره ، فمنهم . من انتهى إلى جعفر ، ومنهم من أتاه وشك ، ومنهم من وقف على الحيرة ، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل " (٣٣) ، إلى جانب ما أُلّف قبل غياب الإمام المهدي من كتب حول الغيبة وخلال عصر الأئمة ، ولاشك حالة التداول لهذه المؤلفات بين المجتمع الإمامي حالة عقدية لكونها تخص حدثاً مهماً الكل في ترقبه (٣٤).

إن الأسئلة التي أثيرتها حتى الآن لا تشكل سوى عينة من أنواع الأسئلة التي قد تطرح فيما يتعلق بالموضوع ، وأخذت نصيبتها أنفاً أحدها : إذا كان يجب أن يستند عقيدة الغيبة إلى أدلة من أجل تبرير عقلاني . الثاني يسأل كيف يمكن للدليل الذي لدينا أو ضد معتقد الغيبة أن يعتمد على عوامل أخرى ، بما في ذلك رغباتنا ومواقفنا ومعتقدات الخلفية. يسأل سؤال ثالث : عن الدليل الذي يوجد بالفعل لمعارضة والوقوف وضدها. سنلخص بعض المناقشات لهذه الأسئلة، من أجل توفير بعض الخلفية والسياق للدراسات القادمة، معتقد الغيبة والحيرة الذي أصبح حادثاً واقعاً ، كانت الأسئلة المطروحة المتعلقة بالعلاقة بين الأحاديث التي تواترت في عصور الأئمة عن هذه الحادثة ومدى نفاذها إلى العقلية الشيعية وبين المعتقدات الدينية التي أصبحت جزءاً واقعاً في المقدمة والمركز "حادثة الغيبة".

في ثنايا الكم الكبير من الملاحظات والأسئلة المتاحة ضمن حدود المكان والزمان كان في المقام الأول استقراء جميع مفردات المرحلة السابقة التي تلت غيبة الإمام المهدي ، وتأثير أفكار ومواقف المناهضة في وقت سابق لفهم التهديدات الحقيقية أو المتصورة في نظر التسلسل الهرمي ، أو أقل المناهضين للشيعية الإمامية. ومما لا ريب فيه أثرت التصورات على مسار المذهب الإمامي ، ونشاطه وسياسات ما بعد الغيبة "الصغرى أو الكبرى" ، وفهم المدى الحقيقي للنداءات للشيعية على فهم طبيعة "نجاح" وكلاء الإمام "النواب الأربعة" وعلماء المرحلة ومن تلاهم في إخراج الشيعية من حالة الحيرة (٣٥).

إذا يجب النظر إليه إلى الأزمات الدينية في سياق أوسع من الأزمات الأخرى التي تؤثر على شيعية في العراق بصورة عامة والمشرق الإسلامي وخاصة مدينة قم منبع التشيع في المشرق ، والتي كانت مشروطة بردود الفعل على التحديات والمناظرات الدينية التي أخذت مساحات كبيرة في التصدي لأي أفكار طارئة تحاول شق الصف الإمامي (٣٦).

من المسلم به للنظر في المناهج المختلفة التي دونت واقع عصر الغيبة الصغرى قد تقاربت مفاهيمها ومضامينها من حالة الضبابية والتمزق والتشتت ، ويمكن حصر المرويات عن أئمة أهل البيت التي طرحت مسبقاً تضع مفاهيم لا تقبل الجدل أو النقاش ، وهي لا تختلف في الافتراضات والأساليب والنظريات والأهداف . وبالتالي ، من المرجح أن تتبنى المقاربات التاريخية والاجتماعية موقفاً محايداً لما دون عن تلك المرحلة ولا يحتاج إلى أي تأويل أو الابتعاد عن محور المشكلة التي ارتبط بالمجتمع الشيوعي الإمامي^(٣٧).

من هنا يعد استخدام المصادر العقدية المبكرة لدراسة واقع الحيرة منهجية مستمدة إلى حد كبير من دراسة الثقافة الإمامية في العصر العباسي تحديداً التي بدأت في المناخ العقدي وتم تفصيلها لاحقاً من قبل علماء الإمامية مثل أبي سهل النوبختي والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والنعماني تحديداً ، وكان جل ما كتبنا عنه مسبقاً مبنياً على رؤية هذه المصادر وعمق الحالة وكيف خرج منها المجتمع الإمامي معافى من جديد ، لأن ما قدمته هذه المصادر تحليل الكتابة المبكرة كمنتج للعقيدة الإمامية لفكرة الغيبة . وتستمد النصوص الروائية قدراً من الهوية الثقافية من هذه المنهجية وبالأخص مصادر الغيبة ، ولكن أيضاً لا ننسى الفكر الإسلامي للمذاهب الأخرى التي ترافقت معه بشأن مكانته كابن عم عام لهذا الفكر المعروف الأكثر انتشاراً والأكثر هيمنة سياسياً .

ويمكن النظر بصورة ادق على الأسس التي بنيت عليه ظاهرة الحيرة في المجتمع الإمامي من خلال ما ذكره المعاصرون للغيبة وقد امتدت أوارها "الحيرة" إلى منتصف القرن الرابع الهجري ، وقد كتب عدد من العلماء المعاصرين لتلك الفترة كتباً تناقش موضوع الحيرة وسبل الخروج منها واشرنا الى بعضها مسبقاً ، ومنهم محمد بن أبي زينب النعماني في كتابه (الغيبة) الذي عاصر فترة الغيبة الكبرى لأن مآلات الحيرة كانت اشد وقعا بعد عصر السفراء الأربعة "الغيبة الكبرى" ، وكان وصفه دقيقاً جداً في رسم حالة الحيرة التي عمت الشيعة في ذلك الوقت : "أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير ، ولم يبق عليه ممن كان فيه إلا النزر اليسير ، وذلك لشك الناس ، وضعف يقينهم"^(٣٨) ، ثم ينتهي المقام به ليضع مجموعة من الأسئلة المتداولة في الألسن وكانت مدار نقاش ليس فحسب بين أفراد المجتمع الشيوعي ، بل من

خلال ما أثارته المذاهب المخالفة والتي وضعتهم أمام علامات استفهام كثيرة تحتاج إلى أجوبة ، وكانت بحد ذاتها أدوات تعمل على ترسيخ واقع الحيرة في قلوبهم ولم يكن عملها على هدم فكرة المهدية ، بل جهدت على تذويب فكرة الإمامة وخلط الأوراق^(٣٩)، كانت محور الأسئلة قائمه حسبما صورها النعماني على الزمان والمكان والظهور ، بقوله : " لأن الجمهور منهم من يقول في الخلف : أين هو ؟ وأنى يكون هذا ؟ وإلى متى يغيب ؟ وكيم يعيش هذا ؟ وله الآن نيف وثمانون سنة ، فمنهم من يذهب إلى أنه ميت ، ومنهم من ينكر ولادته ويحدد وجوده بواحدة ، ويستهزئ بالمصدق به ، ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمد " (٤٠).

تتجلى التوترات غير المستقرة التي يولدها هذا النموذج من الثقافة في دراسات النصوص الروائية ، وهي الطريقة الثانية للتحليل النقدي السائدة في الدراسة التقليدية لهذه الأعمال. للكتاب الاوائل ، وخاصة الكتاب المعروفين ، أبي سهل ، الصدوق ، المفيد ، الطوسي ، تم الإشادة بهم لإنجازهم الأسلوبي ؛ ومع ذلك ، تعتمد هذه الإنجازات في الوقت نفسه على سلائفها التي دونت أفكارها فظاهرة الغيبة وما نتج عنها من الحيرة التي عمت المنظومة العقلية للجمع الشيعي الإمامي حالة منطقية ، وإن تُقَف لها ، فالأمر ليس بالهين ويحتاج إلى وعي وثقافة عالية حتى تنجلي الحيرة ، وكلما طالت الفترة إزداد الغموض ، لاسيما إذا اكتنفت الواقعة بعوامل مساعدة من قبيل استتار الولادة ، وخفاء وتردد اسم الأم ، والإطالة غير المألوفة زمنياً للغيبة ، والانتقطاع التام ، و تولي منصب الإمامة في سن مبكر جداً ، إضافة الى حالة التنافس ، وتضبيب الرؤية من قبل المذاهب الشيعية او الاسلامية كما اشرنا له مسبقا ، كل هذا وغيره يوجب الغموض ، وصعوبة القبول ، خصوصاً في ظرف حرج جدا ، ناهيك عن الصراع الذي طال منصب السفارة وادعيائها^(٤١) ، وبالتالي ؛ فإن دراسة عصر الحيرة ، التي تم استيعابها من قبل علماء الامامية بشكل وأخذت حيزا كبيرا سابقا ولاحقا ، وهي وسيلة لقياس مدى ضخامة الموروث الثقافي الإمامي في معالجة حالة الانهيار ضمن العقيدة لعد غير قليل من المجتمع الامامي^(٤٢).

وبما أن الدراسة التاريخية للنوع الاجتماعي تحث على إعادة صياغة مفاهيم كل من الثقافة والمعتقدات ، فإن هناك تحدياً أيضاً للتمييز العام استندت هذه الدراسات إلى

دراسة متأنية للوضع الاجتماعي والثقافي في هذه الفترة ، مما أدى إلى إنتاج عمل مثير في المجالين التاريخي والعقدي. لم تعد كتابة التاريخ الديني لا لبس فيها ولا تخفي استراتيجياتها للتمكين وإضعاف السلطة. وبما أن الدراسة التاريخية للنوع الاجتماعي تبحث على إعادة صياغة مفاهيم كل من الثقافة والمعتقدات ، فإن هناك تحدياً أيضاً للتمييز العام.

على ان دراسة تاريخ الشيعة الامامية بعمق وخلال الفترات السابقة يجد أن ظاهرة "الحيرة" تتكرر وليست بمجديدة عهد على المجتمع الإمامي ، وان كانت أكثر ضراوة من سابقتها خلال هذه المرحلة، ويمكن ملاحظة ذلك بعد وفاة كل إمام تظهر حالة الانقسام والحيرة والجدل الحاصل وخاصة بعد وفاة الإمام الصادق وانتهاء إلى عصر الغيبة الصغرى^(٤٣).

إدعاء جعفر بالإمامة

وأثرها في تعميق ادعاءات الحيرة

نحن بحاجة إلى فهم أكبر لطبيعة سلطة النصوص العقدية ، يتم إنتاج الكتابة الدينية خلال فترة تاريخية محددة لها أهمية الفكرية والثقافية ؛ لأنها متشابهة تقريباً مع المستجدات التي فرضت نفسها على مجال العقيدة وبالأخص خلال التشابك المذهبي الذي شهدته بغداد خلال القرن الرابع الهجري، وكذلك مع تعزيز فكرة الغيبة مع التهديد السلطوي من جهة والمنافسة من قبل المذاهب الشيعية أو الإسلامية الأخرى ، في كل من هذه الأحداث ، النواب الأربعة أو العلماء كان لهم أدواراً رئيسية ، لوضع السياسات ، وتصدير المؤلفات والفتاوى على مختلف المواضيع من خلال الاتصال بالإمام الغائب ، وكانت التوقيعات الصادرة من الناحية المقدسة التي تضع حلولاً لكثير من المشاكل التي تقع وتقدم المشورة من خلال المواعظ والإرشادات التي كان المجتمع الشيعي بحاجة لها نتيجة الضغوط التي يتعرض لها من قبل السلطة والمنافسين من بقية المذاهب الأخرى .

مع كل هذه الإرهاصات شكل ادعاء الإمامة جعفر^(٤٤) أخ الإمام العسكري بعد وفاته ، حلبة أخرى للصراعات والانقسامات أضعفت البيت الامامي وكانت احد الأسباب الرئيسية لحالة الشك المفرطة التي تولدت في نفوس الشيعة ، مهدت الطريق إلى

حالة التفرقة : (فمنهم من انتهى إلى جعفر ومنهم من تاه ومنهم من شك ، ومنهم من وقف على تحيره)^(٤٥).

استغل جعفر مزاعمه بعدم وجود ولد لأخيه وعدم وصيته أو إشارته إلى أحد ، فادعى الإمامة لنفسه وقال لجمهرة من الشيعة الملتفين حوله : " مضى أبو محمد أخي ولم يخلف أحدا لا ذكرا ولا أنثى وأنا أنثى وصيه " ^(٤٦) ، ولم يكتفي بهذه التحركات فحسب ، بل اخذ يرسل وجوه الشيعة الإمامية داخل العراق أو خارجه لأجل استمالتهم والدعوة إلى إمامته ، ما نقله الشيخ أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري^(٤٧) المقيم في قم - التي كانت مركزا للشيعة الإمامية يوم ذاك - : " أنه جاءه بعض أصحابنا يعلمه أن جعفر بن علي كتب إليه كتابا يعرفه فيه نفسه ، ويعلمه أنه القيم بعد أخيه ، وأن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلها " ^(٤٨) .

ومن جملة الأمور التي عملت في إثارة ريبة وتحفظ الشيعة بل وتعمق حالة الحيرة ما نقله الشيخ الصدوق: عن أبي الأديان البصري خادم الإمام العسكري : " فإذا أنا بالوافية في داره وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه " ^(٤٩) ، وتقدمه للصلاة على جنازة الإمام العسكري وكان من ضمن الحضور (النائب الأول) : عثمان بن سعيد العمري^(٥٠) ، والرواية تستمر في الحديث حيث تذكر حضوره الإمام المهدي بشكل تفاجأ به الجميع ونحى عمه جانبا لأجل القيام بمراسيم الصلاة^(٥١).

ويذكر النوبختي^(٥٢) : إن بعض شيعة الإمام العسكري ، اعترفوا بإمامة جعفر ، وذهبوا في ذلك إلى بعض مذاهب الفطحية الذين جمعوا بين إمامة عبد الله وموسى ابني جعفر الصادق ، وكان رئيس هؤلاء والداعي لهم إلى ذلك رجل من أهل الكوفة يقال له علي بن الطاحي الخزاز^(٥٣) وهو ممن قوى إمامة (جعفر) وآمال الناس إليه ، وكان متكلماً محجاً وأعانتة على ذلك اخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني^(٥٤) ، إذ أنكرت إمامة الحسن بن علي عليه السلام وقالت: أن جعفرأ أوصى أبوه إليه لا الحسن.

في ظل ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد بما أنتجته هذه الأزمة اتجاهات فكرية مختلفة في الوسط الشيعي الامامي، فهناك من يعيش حالة الازدواجية الفكرية والتذبذب بين

المنهج والمعتقد، وهناك من طغت عليه حالة الاستسلام والتبعية لآراء المذاهب الأخرى كما بينا سابقا، وهناك من بقى محافظا على ولائه ولكن على حد تعبير النعماني إلا القليل منهم^(٥٥).

الا ان هذه التحركات لم تقف مكانيا عند بغداد أو سامراء بل وصلت التأثيرات الى قاعدة التشيع في المشرق وهي قم وكاد أهلها ان يستجيبوا لجعفر ، وكان أول لقاء به حسبا أشار الصدوق بعد إتمام مراسيم دفن الإمام العسكري في جمع من الشيعة : " سألوا عن الحسن بن علي عليهما السلام فعرفوا موته فقالوا : فمن نعزي ؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنوه وقالوا : إن معنا كتبنا ومالا ، فتقول ممن الكتب ؟ وكم المال ؟ فقام ينفذ أثوابه ويقول : تريدون منا أن نعلم الغيب ، قال : فخرج الخادم فقال : معكم كتب فلان وفلان (وفلان) وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية ، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا : الذي وجه بك لاخذ ذلك هو الامام "^(٥٦).

من جانب آخر ذكر الخصيبي^(٥٧) رواية أخرى إن جعفر كتب إلى احمد بن إسحاق القمي احد شيوخ وعلماء قم ويطلق عليه بوافد القميين الى الأئمة يطلب منه ما كان يحمله إلى الإمام العسكري من الاموال : " واجتمع أهل قم وأحمد بن إسحاق وكتبوا له كتابا لكتابه وضمنوه مسائل يسألونه عنها وقالوا تجيبنا عن هذه المسائل كما سألوا عنها سلفنا إلى آبائك (عليهم السلام) فأجابوا عنها بأجوبة وهي عندنا تقتدي بها ونعمل عليها فأجبنا عنها مثل ما أجاب آباؤك المتقادمون (عليه السلام) حتى نحمل إليك حقوق التي كنا نحملها إليهم فخرج الرجل حتى قدم العسكر فأوصل إليه كتاب وأقام عليه مدة يسال عن جواب المسائل فلم يجب عنها ولا عن الكتاب بشئ منه ابدا ".
ويضيف الخصيبي^(٥٨) في رواية أخرى من جملة الأسئلة التي طرحت على جعفر : " إن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين قال صدقت بهذا ولكن أقرر بالبدا .. ؟ قلت : نعم ، قال : فان الله بدا له في ذلك "

هذا الجدل العقائدي أخذ أكثر وضوحاً خلال هذه المرحلة بكثير من الدعاية العقائدية المناهضة لفكرة إمامة "المهدي" من تأويلات ، ودحض ، وتضبيب ، وهو بحاجة إلى إعادة صياغة الافتراضات النظرية الخاصة بـ "المهدي المنتظر" فيما يتعلق

بالعلاقة المتبادلة بين النص والسلطة من جهة ، والمنافسين والحركات المضادة ، من جهة أخرى ، والأنماط "الصحيحة" لقراءتهما معا.

كان من المعتاد أن يحدد الشيعة الإمامية قوتهم في وجود أئمتهم في حقيقة أنها لم تتغير^(٥٩)، وأنها لا تخضع لتقلبات التاريخ نفسها مثلما حدث لبقية المذاهب الأخرى. لكن في ظل التغيرات الجديدة التي طرأت ، إلا أنها لم توفر حصانة لمجمل الأحداث الناشئة. لكن وقع الأمر على عاتق النواب الأربعة وعلماء الإمامية كيفية الرد بشكل خلاق على الأسئلة الجديدة ، خاصة عندما تتعلق هذه الأسئلة بمشروعية الغيبة أو الانتظار.

تحت تلك الظروف والتغيرات السريعة يكمن للرمال المتحركة المفاهيمية تؤدي الى انزلاق معظم الباحثين إلى في وضع رؤيا حقيقية. مع اندفاع العلماء إلى تحليل أشكال معينة من النصوص التي ولدت قلقاً اجتماعياً عاجلاً ، فقد ضعف التعريف المنهجي للبعض لعصر الحيرة لأن يرى ماهي : "إلا حالة طبيعية في ظل مثل تلك الظروف والملايسات الخاصة التي رافقت قضية المهدي (عليه السلام) في وجوده وولادته ، وشغب السلطة وتمويهاتهم وإعلامهم الزائف . وإذن فليست (الحيرة) إلا بسبب تلك الظروف والملايسات ، فضلاً عن أن الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) قد أشارت إلى وقوع مثل هذه الحيرة والفتنة والتفرق"^(٦٠).

هؤلاء المحللون القلائل الذين حاولوا تكوين شبكة مفاهيمية أوسع قد قصرُوا أنفسهم بشكل عام على بعض المفاهيم والدلالة التي استوحوها من البناء النصي للرواية الحديثية ، وكانت النتيجة سلسلة من الملتغيات المفاهيمية المتداخلة جزئياً ، مع تناقضات وثغرات داخلها وفيما بينها . عندما وصلت التعاريف إلى مجالات مختلفة تم تمديدها وتعديلها لاستيعاب المناهج غير المتسقة ، دون محاولة التوفيق بينها^(٦١).

تاريخية الحيرة "الغيبة والحيرة"

من الواضح أننا بحاجة إلى التركيز على دمج النتائج والأفكار عبر النصوص المختلف، علاوة على ذلك ، هناك حاجة ملحة لتوسيع العدسة التي من خلالها يدرس الباحثون هذا الموضوع ؛ يجب أن نتوقف عن التعامل مع أنواع معينة من الخلاف باعتبارها أحداثاً منفصلة ومعزولة وأنواع محددة من العواقب باعتبارها الخصائص

الوحيدة ذات الاهتمام ، سيسمح لنا هذا المفهوم الأوسع والاهتمام الأكثر اتساقاً بالروابط بين العواقب الأخرى بمعرفة البحث الذي يتم إجراؤه ، وحيث يتم التوصل إلى استنتاجات معقولة ، وحيث ستكون التحقيقات الإضافية مفيدة . بهذه الطريقة فقط سيتم تحسين البحث الذي تمت مناقشته أعلاه.

قد يبدو الأمور أكثر تعقيداً مما يبدو عليه بالفعل . الشك في صحة عقيدة الغيبة وعدد الأئمة ليس حديثاً . قسم مصير الأسرة الشيعية إلى عدد من فروع داخل البيت الإمامي . أكد البعض أن هذا الابن مات في سن مبكرة جداً ؛ آخرون ، أنه عاش وأنه مات في الشيخوخة ؛ لا يزال آخرون ينكرون وجوده تماماً ، ويختارون التفكير في أن الإمام العسكري لم يكن له ابن أبداً^(٦٢) ، وهكذا صارت الشيعة الامامية فقط أقلية صغيرة دافعت عن الفكرة التي بموجبها كان الإمام المهدي على قيد الحياة ، وأنه سيعود في نهاية الزمان ، فكرة تبناها جميع الإمامين فيما بعد ، نتيجة الجهود المبكرة لابو سهل النوبختي ، وابن بابويه ، والصدوق ، والكليني ، والنعمان ، والمفيد .

يقول جواد علي^(٦٣) : أن أساساً إجمالياً لمذهب شيعي يقوم على أساس مشترك لعلمائهم مثل مسلمة المعتزلة لم يكن موجوداً في ذلك الحين ، ما قبل الغيبة الصغرى ، ولم تظهر عند العلماء ضرورة صياغة مبادئ لعلم التوحيد إلا في فترة "الغيبة الصغرى" ، ومنذ البدايات ، منذ ما قبل الغيبة ، مع رجال الإمام السادس "جعفر الصادق" ، الضالعين في الفقه والكلام والمناظرة كزرارة ابن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم والجواليقي وغيرهم ، وصولاً إلى زمن الغيبة وما بعدها مع رجال كالصدوق والكليني والمفيد ، يقوم الكاتب بمجرد كامل ودقيق للحثيات التي تشكل الصياغات العلمية والحديثية والعقيدية للمذهب . كما ويهتم بدرس اختلافات السياقات مع السائد من المذاهب الأخرى والكتب في تلك حقبة . وذلك بهدف معرفة كل الظروف التي بلورت أسس المذهب آنذاك .

بالرغم من هذه التحديات ، قدمت العديد من التطورات الأخيرة موارد لتنظيم التأثيرات الثقافية للحركات . لقد أحرز العلماء تقدماً في عزل التأثير العقائدي للحركات الطارئة عن تأثير التطورات المعاصرة الأخرى ، علاوة على ذلك ، وإدراكاً بأن الحركات غالباً ما تستهدف العمق العقدي ، فقد قدم علماء الإمامة مساهمة كسرة في ترسانة

العقيدة الإمامية ، في الوقت نفسه أدرك العلماء الذين يدرسون طبيعة الهجوم المضاد التي تستهدفهم إدراك الأبعاد الثقافية لظهور الحركات ومساراتها وتأثيراتها. الإنجازات الفكرية والثقافية ، تدعم الجسد العقدي وتعمل على الحفاظ على الخطاب الشيعي ، هذا الخطاب له قواعده الخاصة التي تعتمد على التقاليد التي تؤكد على حقيقة جملة مفاهيم من أهمها الإمامة ، المتنازع عليها. أي أن هذا الخطاب له تاريخه الخاص. وفي الوقت نفسه ، تقدم الكتابات منظوراً محدداً لأحداث القرن الثالث الهجري. يقع الماضي والحاضر والمستقبل في الإطار العقدي للحاضر الإمامي. هذا الحاضر متناغم مع نظرة الإمامية للعالم ، وهي نتاج أحداث عصر الغيبة وما تلاها ، إذ ليس للخطاب الإمامي تاريخه الخاص فحسب ، بل إن التاريخ يجد ذاته جزء من تاريخ عصر الإمامية.

تباين المؤرخون حول تحديد عصر الحيرة ابتداءً ونهاية ، إذ الروايات مختلفة ، وهذا بطبيعة الحال ناشئ من عملية فهم النص الروائي أو اختلاف الفهم بين المعاصرين لها ومن جاء بعدهم ، لكن لا تخرج عن بديهية واحد هو اقتران مصطلح الحيرة بالغيبة ، أي : منشأ الحيرة وبداياتها مع ابتداء عصر الغيبة الصغرى ، على أن من الأهمية تحديد بدايتها الزمنية ونهايتها ، من أجل الوقوف حول الظرف الاستثنائي الذي واجه المجتمع الإمامي ، وكيف تحول إلى أزمة حقيقية عانى منها ، ولا إيجاب الحقيقة إذا قلت عمل على تذويب عد غير قليل من الأفراد في بوتقات مذهبية أخرى هذا من جانب ، وكيف تصدى علماء الإمامية في علاج هذه الأزمة ومواجهتها ، وهذا من جانب آخر. ولقد ذكر تفصيل ذلك فاضل المالكي ، في كتابه (الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة) ، في نظريات ثلاثة^(٦٤) :

النظرية الأولى: "الغيبة الصغرى إنما بدأت بمولده (عليه السلام) ، حيث كان مولده مبنياً على الكتمان ، فكان الإمام سلام الله عليه غائباً منذ ذلك الحين وإلى أن يظهر للعيان بشكل علني عام. ثم قال..... فإذا بدأنا سنة مائتين وخمس وخمسين ، سنة مولد الإمام سلام الله عليه ، إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين ، يعني قرابة أربعة وسبعين سنة ، هذا التحديد طبق النظرية التي ذهب إليها الشيخ المفيد رحمه الله ."

النظرية الثانية: " الغيبة بدأت من حيث شهادة والده الإمام العسكري سلام الله عليه، وبالضبط بعد صلاته على جنازة الإمام العسكري (عليه السلام) في القضية التي رواها أبو الأديان البصري".

النظرية الثالثة: " نظرية متوسطة في الواقع، وهي نظرية تقول طبق النص الذي مر بنا عن غيبة الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه، نظرية تقول بأن غيبته بدأت بعد مولده (عليه السلام) بفترة، بدأت الغيبة وأعلن عن غيبته (عليه السلام) نفس والده الإمام العسكري (عليه السلام)".

ثم رجح المالكي النظرية الأخيرة ، حيث قال^(٦٥): " ولهذا، الأقرب أن الإمام سلام الله عليه مثلاً أعلن عن ذلك إما في عام تسعة وخمسين بعد المائتين حيث يكون عمر الإمام سلام الله عليه قرابة أربع سنوات، فيمكن القول أن الإمام سلام الله عليه الذي ولد في منتصف شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين وأن الإمام العسكري سلام الله عليه أعلن عن غيبته في حدود قرابة منتصف شعبان سنة مائتين وتسع وخمسين، وأن الإمام في هذه الأربع سنوات من سنة خمس وخمسين منتصف شعبان إلى منتصف شعبان سنة تسعة وخمسين بعد المائتين، هذه الفترة لم تكن فترة غيبة، لأن الإعلان صدر بحسب التقدير المشار إليه في حدود سنة مائتين وتسع وخمسين في منتصف شعبان، فتكون غيبته (عليه السلام) قد بدأت منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين، يعني قبل شهادة الإمام العسكري سلام الله عليه بشهور، واستمرت من منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين حيث وفاة آخر نائب من نواب الغيبة الصغرى".

هذه الفرضيات أو النظريات التي دونها المالكي وكل الدلائل النصية والعقلية التي بنى عليها أسس بحثه تنطلق من قاعدة غيبة الإمام كانت خلال عهد أبيه أي : قبيل وفاته ، وهذا يدل على حالة الاختلاف الواقعة في وجهات النظر ؛ تعود إلى جملة أسباب ومضامين غير خافية على المتتبع من حيث وضعية الولادة وما اكتنفها من الغموض والكتمان ، وعدم الإفصاح بالولادة حتى لحظة وقوعها، وجمع من النصوص الروائية التي عززت هذا المفهوم تصل إلى حالة منع التداول بالولادة بل حتى بالمسمى^(٦٦).

لكن من خلال قراءتي المستفيضة للموضوع والبحث في جميع مفاصله لا أميل لهذا الرأي المتقدم ؛ لأن حال الغيبة المقصود بها هو الاختفاء عن الأنظار وهذا لم يتحقق إلا بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) مباشرة وكانت بداية الحيرة الحقيقية، لأن الإمام لم يكن غائبا بالمعنى الذي جرى فيما بعد ، بل كان محجوبا عن اللقاء به إلا عن الخاصة والمقربين من الإمام العسكري^(٦٧) ، أما غيبة بتمام المعنى لم تشرع إلا بعد وفاة أبيه ، والدليل ما ذكرناه جملة من الروايات منها ما نقله الصدوق ، والحزاز القمي^(٦٨) بقوله : "مائتي وستين يفترق شيعتي . ففيها قبض أبو محمد عليه السلام وتفرقت شيعته وأنصاره ، فمنهم من انتمى إلى جعفر ، ومنهم من تاه وشك ، ومنهم من وقعت على الحيرة ، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل".

أما انعكاساتها على الواقع المجتمعي للشريعة الامامية سيعتمد التباين على عوامل مثل : الخصائص الفطرية للناس وتجاربهم السابقة وآمالهم ومخاوفهم واهتماماتهم وافتراضاتهم وقيمهم وتوقعاتهم والموقف الاجتماعي الذي يرون منه الواقع الذي يواجههم ، وهي بداية حلقة جديدة من تاريخ الشيعة الامامية في ظل غياب الإمام وتعيين السفراء الأربعة ، ومع وجود سلطة النواب التي عملت بجهد كبير لاستلام زمام الأمور ؛ ربما تختلف تصورات عند البعض وهذا أمر طبيعي لحين وضوح الصورة وازهار ملامحها النهائية ؛ ولاشك هناك من يعمل في ضوء مصالحه الخاصة. لن يدرك الناس بسهولة حجم التغير على الوضع الا من خلال التعايش والاندماج مع الحالة الجديدة ، ولذلك وقع على عاتق النواب وعلماء الامامية شرح الظرف الجديد من وجهات نظر مختلفة فحسب ، بل سيصفون وربما يشرحون الأسباب والموجبات للغياب بطرق مختلفة لحين تصبح الفكرة جزء لا يتجزأ من العقائد الامامية.

وإذا كان الأمر فإذا كان مبتدأ عصر الحيرة مع وفاة الإمام العسكري، لكن هنا السؤال المطروح لأي عصر انتهت ؟ ، وهل لازالت مستمرة لوقتنا الحاضر ؟ أم انتهت خلال العصور المبكرة من غيبة الإمام المهدي مع تولي النواب الأربعة أو من جاء من بعدهم مع علماء الامامية على اختلاف النصوص الروائية التي وردت في المصادر التي أرخت حادثة الغيبة ، وهل هناك حيرتين ام حيرة واحدة ؟.

من الملاحظ ان النصوص المبكرة هي من وضعت حالة خلاف بين مؤرخي الغيبة على ما رواه الأصمغ بن نباتة عن الإمام علي ، حين سأله قائلاً : "وكم تكون الحيرة والغيبة؟ قال: ستة أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين..."^(٦٩) ، اما النص الآخر "... وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى أما الأولى فسته أيام وستة أشهر وست سنين وأما الأخرى فيطول أمدّها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به فلا يثبت عليه إلا من قوي يقينه وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا وسلم لنا أهل البيت"^(٧٠).

وعلل هذه المجلسي^(٧١) هذه الوجوه في الغيبة : "فسته أيام" لعله إشارة إلى اختلاف أحواله عليه السلام في غيبته فسته أيام لم يطلع على ولادته إلا خاص الخاص من أهاليه عليه السلام ثم بعد ستة أشهر اطلع عليه غيرهم من الخواص ثم بعد ست سنين عند وفات والده عليه السلام ظهر أمره لكثير من الخلق . أو إشارة إلى أنه بعد إمامته لم يطلع على خبره إلى ستة أيام أحد ثم بعد ستة أشهر انتشر أمره وبعد ست سنين ظهر وانتشر أمر السفراء والأظهر أنه إشارة إلى بعض الأزمان المختلفة التي قدرت لغيبته وأنه قابل للبداء".

هذه الإشارات والتأويلات التي ذكرها المجلسي لتحقيق نص الرواية مبتغاها هي بحاجه إلى دراسة مكثفه من اجل الوقوع على الحقيقة وإفراغها من محتواها بعيدا عن تفكيك نصوصها لأجل ردم الهوة ، وتفسيرها بصورة تتقارب مع ما نطقت به الرواية ، مع العلم حالة الرافض لها وان كانت مسنده وبطريق صحيح على ما اعتبره الرواة ، لا يعني الإيمان المطلق بصحة ما نقل ، لكن لزاما الأخذ بالنظر العقلي وما جرى من أحداث وتغيرات بما لا يتوافق على ما ذكر في نصها ، وليكون تفسيرنا واضح يتلائم بحجم النص وهذا ما نبحت عنه ونستقصيه^(٧٢).

في هذا النوع العام من الجدل والنقاش ، تبدو فكرة التناقض الأساسي مربية للغاية - على الأقل من خلال الطريقة التي يتم بها فرض رؤية أحادية للموضوع بعيدا عن كافة المؤشرات. يجعل التفسير لها قابل للتحليل النظري. من المؤكد أن تحديد التناقض الموجود في جذر الرواية يعمل أيضاً على بناء كائن وطريقة تحليل يمكن من خلالها رؤية الحدث من خلال مجرياته لفهم وشرح النصوص الروائية التي يفهما "الآخر" ، ومن

أجل تحديد طبيعة التناقضات واستكشاف المفاهيم البديلة الحقيقية لمقتضى الرواية ، ربما يكون من المفيد أكثر المضي قدماً في فكرة أن هذا النص ان اخذنا به كما هو عليه ، لكن في نفس الوقت يحتاج إلى آلية أساسية لحل أو تمويه الصراعات الأساسية للحياة الاجتماعية والثقافية التي شهدتها الساحة خلال ذلك الوقت وليومنا هذا. ومع ذلك ، مرآة الرؤية الخلفية ، لا أقصد صرف انتباهنا عن الطريق أمامنا. الثقافة ليست أحادية البعد أو بالإجماع أو ثابتة ؛ إنها تسمح بل وتتطلب الخيار والبحث ، خاصةً عندما تصبح مشحونة مذهبياً. اذ ترتبط كل من الطوائف والثقافة بالمقدس ، بنفس الوقت فإن استراتيجيات النصوص الروائية للشيعه الامامية قد تولد شعوراً بحجم الصراع مع بقية المذاهب الاخرى التي أرادت نقض ونسف فكرة المهدي ، ومن هنا تجد حجم التأويلات والتفسيرات من اجل الوصول إلى الغايات والأهداف وان تكن على غير صواب ، لكن الالهم من هذا وذاك يبقى لكل منا وجهة نظره ورؤيته للموضوع والظرف الذي دون فيه ، والكل يبحث في مظان الحقيقة والسعي نحوها.

بعد وفاة آخر سفير علي بن محمد السمرى (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) ، وقيل وفاته بأيام أصدر الإمام المهدي بناءً على النصوص الروائية توقيعاً^(٧٣) يُنبئ عن قرب وفاة السمرى، ويعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى ، ويمنعه من أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيراً بعده، و"لما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه ، فلم يظهر شيئاً من ذلك ، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن" ، كما حضر الوكلاء عنده واستنسخوا التوقيع ، "ف قيل له : من وصيك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه وقضى"^(٧٤). فهذا آخر كلام سمع منه، وبعد وفاته انقطع الاتصال المباشر بين النواب والإمام الثاني عشر وبدأت بذلك زمن الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩ هـ.

على أن ظاهرة الحيرة لم تنتهي خلال عصر الغيبة الصغرى ، وقد امتدت الى منتصف القرن الرابع الهجري ، او بدايات القرن الخامس الهجري حسب المؤشرات والنصوص التي دونها مؤلفوا هذه المرحلة ، إذ ان قسماً كبيراً من الشيعة عاشوا مرحلة صعبة للغاية وحيرة شاملة حين وصلت الأخبار بانقطاع النيابة الخاصة بعد وفاة النائب الرابع ، اذ كانوا يرون في السفارة حلقة الوصل بينهم وبين الإمام وبانتهاء عصر السفارة

"الغبية الصغرى" لا يوجد مرجع معين من الإمام المهدي ينهض بأمورهم ، مع كثرة الشبهات التي أثارها الزيدية والمعتزلة وغيرهم ، لذا تصدى علماء الشيعة في تلك الفترة لرفع الحيرة التي نشأت بسبب ذلك وكتبوا كتباً كعلي بن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ) في كتابه (الإمامة والتبصرة من الحيرة) ، أو النعماني في كتابه (الغبية) ، أو الصدوق (ت ٣٨١ هـ) في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) ، من حديث عن وجود الحيرة في زمانهم^(٧٥).

بناءً على ما ذكره البرقي (ت ٢٧٤ هـ) في كتابه (المحاسن) عن أحمد بن الدينوري السراج المكنى بابي العباس الملقب بأستاره قال : "انصرفت من أردبيل إلى دينور أريد أن أحج وذلك بعد مضى أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) بسنة أو سنتين وكان الناس في حيرة فاستبشروا أهل الدينور بموافاتي واجتمع الشيعة عندي"^(٧٦). لكن لا يمكن أن نستفيد من هذا الحديث أن عصر الحيرة قد انتهى بعد حوالي سنة أو سنتين من وفاة الإمام العسكري ؛ من خلال ما أشار له من جاء من بعد البرقي إلى استمرار حالة الحيرة إلى وقتهم^(٧٧).

ومع هذا يمكن أن نصل إلى وقت انتهاء هذا العصر مع متابعة المصادر التي عنت بالغبية ، إذ نجد ملاحظاتها واضحة خلال عصر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، وتحديدًا بعد توليه الزعامة الدينية بعد وفاة أستاذه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ، ويمكن الوقوف على صيغة الخطاب التي تغيرت جذرياً في كتاباته عن سبقه ، في مؤلفه كتاب "الغبية" ، صيغة الخطاب تقف على مضامين مختلفة : من ندبة للإمام ، واستنهاضه بعد وقوع جميع المؤشرات والأحداث الجسام التي كان يرى فيها مدعاة إلى ظهوره وانتهاء غيبته ، دون الإشارة إلى حالة الحيرة التي ذكرها من سبقه ، ونستظهر ذلك من مقدمة كتابه ، إذ يقول : "أما بعد فإني مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل ، أطال الله بقاءه من إملاء كلام في غيبة صاحب الزمان ، وسبب غيبته ، والعلة التي لأجلها طالت غيبته ، وامتداد استتاره ، مع شدة الحاجة إليه وانتشار الخيل ، ووقوع الهرج والمرج ، وكثرة الفساد في الأرض ، وظهوره في البر والبحر ، ولم لم يظهر : وما المانع منه ، وما المحوج إليه ، والجواب عن كل ما يسأل في ذلك من شبه المخالفين ، ومطاعن المعاندين"^(٧٨).

من خلال هذا النص وصلنا إلى مراحل نهائية بالبحث ، حدد خلالها الشيخ الطوسي انحسار "عصر الحيرة" ، لبدأ عصر جديد يأخذ قالباً جديداً في التفكير يفرق

بسماته وطرحه عما كان سابقا ، لأنه يشرع لعصر الظهور "المهدي" وهذا اخذ مساحات فكرية كبيرة بين الكتاب الشيعة الامامية على وجه الخصوص منذ القرن الخامس الهجري والى يومنا هذا ، والمثير للاهتمام دائماً أن أصول الموضوع ومراحله الأولى ، ولكن عندما يبحث المرء بجديّة عن إشارته الكاملة ، يجب على المرء دائماً أن ينظر إلى أشكاله الأكثر تطوراً والكمال. ويترتب على ذلك أن الوثائق التي ستثير قلقنا أكثر من غيرها ستكون تلك للرجال الذين حققوا أكبر قدر من الإنجاز في الحياة العقديّة للشيعة الامامية وأكثرهم قدرة على تقديم سرد واضح لأفكارهم ودوافعهم. هؤلاء الرجال ، بالطبع ، إما كتاب عاصروا المرحلة أو من جاء بعدهم أو حديثون نسبياً ، أو غيرهم ممن أصبحوا كلاسيكيات دينية ؛ لكون أن العقيدة الدينية ليست مجرد لاهوت أو تأثير نصي أو قراءات لمجموعة من النصوص الروائية بل إنها أيضاً ظاهرة نفسية واجتماعية وتاريخية وثقافية.

ومع ذلك ، فإن التقارب بين النظريات ومقارباتها لم يتم تحديده بالكامل بعد. الحاجة إلى مثل هذا التقارب ليست ملزمة على الفور ، للدراسة الحالية بل المهتمين أكثر لدراسة "الغيبية" بكل مفاهيمها وارهاساتها ، بأساليبه ومناقشاته الخاصة ؛ لأنه يأخذ في الغالب كمجال للتحقيق في الممارسات العقديّة المعاصرة.

هوامش البحث

(١) استخدم [الشيعة الإمامية](#) هذا المصطلح استناداً على ما لديهم من النصوص الدينية، والمقصود منه غياب [الإمام الثاني عشر](#) عند [الشيعة الإمامية](#) عن الأنظار وبقاءه خلف ستار الغيب بأمر من [الله تعالى](#)، ووفقاً لهذه النصوص هذا الغياب كان على مرحلتين: الأولى: غياب لفترة قصيرة استمرت لـ ٦٩ عام عرفت [بالغيبية الصغرى](#) ٢٦٠-٣٢٩ هـ ، والثانية طويلة تعرف [بالغيبية الكبرى](#) تبدأ من سنة ٣٢٩ هـ والى يومنا هذا، إذ تؤمن [الشيعة الإمامية](#) بأن الأرض لا تخلو من [حجة وإمام](#)، واستتاره الأنظار بأمر من [الله تعالى](#) ، وسيؤذن له [بالخروج](#) مرة أخرى ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. ينظر: ابن بابويه القمي ، ١١٩-١٢٤؛ الكليني ، الكافي ، ٣٣٥/١-٣٤٠؛ الصدوق ، كمال الدين ، ص ٤٧٩ وما بعدها ، ومن المصادر

المبكرة كذلك التي اعتنت بدراسة هذا المصطلح ينظر: النعماني ، الغيبة ، الطوسي ، الغيبة .

(٢) ينظر : المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي ، مؤسسة الرسالة.

(٣) ينظر : خليقي ، عبد المجيد ، قراءة النص الديني عند محمد اركون ، ط١، منتدى التعارف، بيروت ٢٠١٠، ص ٤٧ - ٤٨ ؛ واثق ، غازي ، الدين واحتكار الحقيقه ، دار الانتشار العربي ، بيروت ٢٠١٧، ص ٣٢.

(٤) مراجعة كتاب الرجال للشيخ النجاشي دون لنا قائمه طويله من الكتب التي اغلبها ضاع وغيب خلال استعراضه لاحوال مفكري الشيعة الاماميه.

(٥) ينظر : المصادر الرباعية التي ألفها الدكتور محمد عابد الجابري التي ناقش هذا الموضوع في جميع تفاصيله : تكوين العقل العربي ، نقد العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ ؛ بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافه العربيه ، مركز دراسات الوحدة العربيه ، بيروت ١٩٨٦؛ العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، نقد العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربيه ، بيروت ١٩٩٠؛ العقل الاخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافه العربيه ، نقد العقل العربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ٢٠٠١.

(٦) ومن جملة الاسباب الاخرى : معظم الكتب والمصنفات الشيعة المتقدمة التي كُتبت عن الغيبة يكاد يكون اغلبها مفقودة، سواء الذي دون في المراحل المبكره من الاسلام او في عصر الغيبة الصغرى .ولا نجد في عصرنا الحالي إليه سبيلاً. وكذلك دور السلطات الحاكمة في محاولة تحريف وتغييب هذه العقيدة ، كونها تمثل التهديد الحقيقي لتلك الأنظمة، وبالأخص إبّان الدولة الأموية والعبّاسية، مما دفعها لاتخاذ بعض الإجراءات بمنع تدوين أي حديث شريف أو ائتلاف كثير من المصادر التي دونت علاقة بظاهرة الغيبة ،اضف الى ذلك الصراعات المذهبيه شكلت موردا مهما لكلا الاطراف المتنازعه في الدفاع عن نفسها ورسم عقائدها بما يحفظ قوتها ومواجهتها امام الاخر من خلال الصنائه الحديثيه والتاريخيه ، وبنفس الوقت العمل على تغييب تراث الاخر من خلال ائتلاف وحرق كثير من الاعمال بحجج مختلفه ، لكونها تمثل رايًا مخالفًا لها.

(٧) هناك كم كبير من الدراسات الحديثة والمعاصرة التي تناولت تاريخ التشيع ومعتقداته فقدت الموضوعية ، بل وكانت معاييرها تقليديه ، يغلب عليها النقل واجترار أقوال الآخرين دون تمحيص او دراية ، مما أسهمت في غيبوبة العقل العامي ، وجعله رهينة لأفكار وأساطير كتبت في مراحل معينه ولظرف ما.

(٨) ينظر : الفراهيدي ، العين ، ٢٨٨/٣ ، الجوهرى ، الصحاح ، ٦٤١/٢ .

(٩) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ١٢٣/٢ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢٢/٤ .

(١٠) سورة الأنعام ، الآية : ٧١ .

(١١) الذريعة ، ٣/٢ ، ١٦ ، ٤١ ، ٨٣-٨٤ .

(١٢) أُلّفه بإرشاد الإمام المهدي كما صرح في مقدّمة الكتاب : " لم لا تصنف كتابا في الغيبة حتى تكفي ما قد همك ؟ فقلت له : يا ابن رسول الله قد صنف في الغيبة أشياء ، فقال عليه السلام : ليس على ذلك السبيل أمرك أن تصنف ولكن صنف الآن كتابا في الغيبة واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام " كمال الدين ، ص ٣ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١٤) أُلّف مجموعة من وأعلام الإمامية مؤلفات تطرح مفهوم الحيرة وارتباطه بعصر الغيبة وتناقش فيه حالة الشك الخلاف الذي وقع في نفوس الشيعة والانشقاقات داخل الجسم الإمامي وذكرنا بعضا منها مسبقا في المتن ، وهناك مصادر أخرى تناولت هذا المفهوم بين طيات صفحات كتبها . ينظر على سبيل المثال : النعماني ، الغيبة ص ١٩٢ ، الذريعة ، ١٦/٢ ، ٣٤١ ، ٨٣-٨٤ .

(١٥) المقصود منه غياب الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية عن الأنظار وبقاءه خلف ستار الغيب بأمر من الله تعالى ، ووفقاً لهذه النصوص هذا الغياب كان على مرحلتين: الأولى: غياب لفترة قصيرة استمرت ل ٦٩ عام عرفت بالغيبة الصغرى ٢٦٠-٣٢٩ هـ ، والثانية طويلة تعرف بالغيبة الكبرى تبدأ من سنة ٣٢٩ هـ والى يومنا هذا ، إذ تؤمن الشيعة الإمامية بأن الأرض لا تخلو من حجة وإمام ، واستتاره الأنظار بأمر من الله تعالى ، وسيؤذن له بالخروج مرة أخرى ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً . ينظر: ابن بابويه القمي ، ١١٩-١٢٤ ؛ الكليني ، الكافي ٣٣٥/١-٣٤٠ ؛ الصدوق ، كمال الدين ، ص ٤٧٩ وما بعدها ، ومن المصادر المبكرة

كذلك التي اعتنت بدراسة هذا المصطلح ينظر: النعماني، الغيبة، الطوسي، الغيبة.

(١٦) أشار الشيخ الصدوق إلى حالة الانقسام التي أصابت المجتمع الإمامي بقوله: (فمنهم من اتهمى إلى جعفر ومنهم من تاه ومنهم من شك، ومنهم من وقف على تحيره....).
إكمال الدين، ص ٤٠٨.

(١٧) الدلالة التي يعطيها لغيبة الإمام الثاني عشر.

(١٨) النعماني، الغيبة، ص ١٧٤.

(١٩) الكليني، الكافي، ١/٥٢٦-٥٢٧.

(٢٠) المصدر نفسه، ١/٥٢٦-٥٢٧.

(٢١) ذكر الشيخ النوري مجموعة من الآراء التي تدفع شبهة الحيرة عن البرقي بقوله: "أ - ما في شرح المولى الخليل القزويني، في شرحه: من أن هذا الكلام من محمد بن يحيى وقع بعد إبعاده من قم، وقبل إعادته هو زمان حيرة أحمد بن محمد بن محمد بن خالد - بزعم جمع - أو زمان تردده في مواضع خارجة من قم متحيرا، وذلك لأنه كان حيثئذ متهما بما قذف به، ولم يظهر بعد كذب ذلك القذف. ب - ما احتمله بعضهم من أن المراد تحيره بالخرافة لكبر سنه، ولا يخفى بعده. ج - ما أشار إليه المولى محمد صالح في شرحه، وفضله السيد السند المحقق السيد صدر الدين العاملي فيما علقه على رجال أبي علي، فقال - بعد نقل كلام التقي المجلسي في حواشيه على النقد، وكلام بعضهم في حواشيه على رجال ابن داود، من فهمهما تحير أحمد من الخبر - ما لفظه: من الجائز أن لا يكون الأمر على ما فهمه المحشيان، بل يكون محمد بن يحيى إنما عنى أن يكون هذا الخبر بسند ثان وثالث، بحيث يبلغ حد التواتر والاستفاضة، ليرغم به أنف المنكرين، لا أنه تمنى أن يكون من جاء به غير البرقي، ليكون قدحا منه في البرقي، بل هو المتعين بعد الوقوف على توثيق البرقي، وانتفاء القدح فيه بعد تدقيق النظر في عبارات القوم. وأما قوله: قبل الحيرة، فلم يرد منه أن أحمد بن أبي عبد الله قد تحير، حاشاه وحاشا محمد بن يحيى أن يقذفه بذلك....". خاتمة المستدرک، ٤/٤٣-٤٤.

(٢٢) خاتمة المستدرک، ٤/٤٤.

- (٢٣) الغيبة ، ص ١٩٢.
- (٢٤) الزراري ، تاريخ آل زرارة ، ص ١٠ ، .
- (٢٥) خاتمة المستدرك ، ٤٤٠/٤.
- (٢٦) ص ٤.
- (٢٧) الكافي ، ٥٢/١.
- (٢٨) المفيد ، الفصول المختارة ، ص ٣١٨.
- (٢٩) الكافي ، ٥٢/١.
- (٣٠) كمال الدين ، ص ١٢٦.
- (٣١) كفاية الاثر ، ص ٧.
- (٣٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ١٦٣-١٦٤ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٢٤/٥١.
- (٣٣) الصدوق ، كمال الدين ، ص ٤٠٨ ، الطوسي ، الغيبة ، ص ١٦٣-١٦٤ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٣٤/٥٠ - ٣٣٥.
- (٣٤) الدكتور جواد علي في رسالته الموسومة : (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية) أحصى ستة عشر كتاباً في موضوع المهدي وأسماء مؤلفيها من الشيعة، كتبت قبل ولادة الامام المهدي في حياة الأئمة وخلال عصر الغيبة الصغرى بعناوين وكانت تحمل عناوين مختلفة مثل : (الغيبة، القائم، الرجعة). ص ١٧-٢٤.
- (٣٥) على سبيل المثال : دور السفير الأول عثمان بن سعيد العمري في مواجهة ادعاء جعفر بالإمامة. ينظر : الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص ٣٩١ ، الكليني ، الكافي ، ٥٠٥/١ ؛ الصدوق ، كمال الدين ، ص ٤٣ ، المفيد ، الإرشاد ، ٣٣٦/٢ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٦-١.
- (٣٦) دعوى الحلاج بالنبابة العامة وذهابه إلى مدينة قم ، لكونها تمثل معقل التشيع والرواة لأحاديث أهل البيت يومذاك ، وكاتب قريباً لعلي بن بابويه وابن بابويه أيضاً ، وقال في كتابه أنا رسول الإمام (المهدي) إليكما ووكيله ، فلما وقع الكتاب في يد ابن بابويه خرقة وقال للرسول : ما أفرغك للجهاالات ، واجتمع به ابن بابويه في دكان وكان لا يعرفه ، فقال له الحلاج : أنت تخرق رقعتي إليك وأنا شاهدتك وأنت تخرقها

، فقال له ابن بابويه : فأنت الرجل إذن ، وأمر بغلماناه فأخرجوه من الدكان ثم أخرج من قم مطروداً ولم يعد إليها. ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٤١.

(٣٧) عند قراءة كثير من البحوث والدراسات الحديثة أو المعاصرة الابتعاد عن الواقع التي عاشها المجتمع الشيعي الامامي خلال هذا العصر من خلال وضع فرضيات وتأويل الاحداث بصورة لاتأخذ المسار الحقيقي المرتبط بقراءة مفاصل الموضوع بصورة دقيقة بعيدا عن الاندفاع العاطفي أو المذهبي. ينظر على سبيل المثال : الموسوي ، الحيرة في عصر الغيبة الكبرى ؛ الأشكوري ، العقيدة المهدوية إشكاليات ومعالجات ؛ الحلو ، الغيبة والانتظار، القبانجي ، ثلاثية المعرفة المهدوية . وهناك مراجع كثيرة يمكن مراجعتها والاطلاع عليها.

(٣٨) الغيبة ، ص ١٩٢.

(٣٩) ألف علماء الإمامية خلال عصر الغيبة الصغرى والكبرى عدد من المصنفات للرد على الخصوم كالاسماعيلية والزيدية وغيرهم. ينظر : النجاشي ، الرجال ، ص ٣٠-٣١ ، ص ٦٣ ، ص ٢٦٦ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٨٣ ، ص ٤٠٠ ، الطوسي ، الفهرست ، ص ٢٨٣ ، منتجب الدين ، الفهرست ، ص ٦٠.

(٤٠) الغيبة ، ص ١٥٩.

(٤١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٣٩٧.

(٤٢) ينظر ماحواه رجال النجاشي وكتاب الفهرست للشيخ الطوسي من موسوعات ومصنفات ولم يصل بين ايدينا الا النزر القليل.

(٤٣) هناك عدة أمثلة على سبيل المثال : ما رواه الشيخ الكليني ، والمفيد وغيرهما ، رواية تشير الى حالة الحيرة التي اكتنفت بعض أصحاب وخواص الإمام الصادق بعد وفاته ، وهما : هشام بن سالم ، ومحمد بن النعمان صاحب الطاق ويعدان من وجوه الامامية وكبارهم ، قد تبادر لهما أن الإمامة لعبدالله بن الصادق الملقب بالأفطح ، فدخلوا عليه والناس عنده مجتمعون وسألاه عن الزكاة ، فأجابهما بجواب جعلهما مرتابين في أمره ، فخرجا ضلالاً لا يهتديان إلى أين يتوجهان ، حتى وقفا في أزقة المدينة باكين ، فجاءهما شيخ يدعوهم إلى بيت الإمام الكاظم ، فلققه هشام بن سالم وهنالك تيسر له معرفة إمام زمانه وخرج من عنده ليخبر هشام بن سالم مؤمناً

الطاق بأمر الكاظم ، فانكشف ما كان بهما ، وهكذا زالت عنهما الريبة والقطع بإمامته. ينظر:

الكافي، ٣٥١-٣٥٢، الارشاد، ٢٢١/٢-٢٢٢.

وما نقله الطبري من تحير الشيعة في مختلف الأمصار كأشد ما تكون الحيرة في شؤون الإمامة بعد وفاة الإمام الرضا ، فقد كان سن الإمام محمد الجواد ست سنين وأشهر ، مما أدى إلى اضطراب بعضهم ووقوع النزاع في صفوفهم ، فقد رأى بعضهم أن من كان بهذا السن لا يكون إماماً ، وإن الإمامة لا بد أن يتقلدها الرجل الكبير ، واجتمع وجهاء من الشيعة ، وكان من بينهم الريان بن الصلت ، ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم ، في دار عبد الرحمن بن الحجاج ، : " في بركة زلزل ، سيكون ويتوجعون من المصيبة ، فقال لهم يونس : دعوا البكاء ، من لهذا الأمر يفتي بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي ؟ يعني أبا جعفر (عليه السلام) ، وكان له ست سنين وشهور ، ثم قال : أنا ومن مثلي ! فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في حلقه ، ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه ، ثم قال له : يا بن الفاعلة ، إن كان أمر من الله (جل وعلا) فابن يومين مثل ابن مائة سنة ، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة (عليهم السلام) أو ببعضه ، أو هذا مما ينبغي أن ينظر فيه ؟ وأقبلت العصاة على يونس تعذله . ينظر : دلائل الإمامة ، ص ٣٨٨ .

(٤٤) هو : جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق ، اختلاف في سنة ولادته ، (ت ٢٧١ هـ) المعروف بجعفر الكذاب ، والذي ادعى الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام العسكري ، وأنكر ولادة المهدي تثبيتاً لإمامة نفسه ، وادعى أنه الوارث للإمام العسكري. فلقبه الشيعة الإثنا عشرية بالكذاب. ينظر : الصدوق ، كمال الدين ، ص ٣١٩ ، ص ٤٢٢ ، ص ٤٧٥ ، الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص ٢٤٨ ، الغيبة ، الطوسي ، ص ٧٨ ،

(٤٥) الصدوق ، المصدر نفسه ، ص ٤٠٨ .

(٤٦) الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص ٣٩٠ .

(٤٧) احمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري ، أبو علي القمي ، شيخ القميين ، من رواة الشيعة في القرن الثالث الهجري، من أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي، ووكيل الإمام العسكري في قم ومن الذين شاهدوا الإمام المهدي وهو صغير. وقيل إنه عمل في فترة الغيبة الصغرى كمساعد للنائب الأول من النواب الأربعة. ينظر: النجاشي ، الرجال ، ص ٩١، الطوسي ، الرجال ، ص ٣٩٧، ٣٧٣، العلامة الحلي ، خلاصة الاقوال ، ص ٦٣ ، الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ٥٢/٢-٥٥.

(٤٨) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٨٧ ، الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢٧٩/١ .

(٤٩) الصدوق ، كمال الدين ، ص ٤٧٥.

(٥٠) الصدوق ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٥.

(٥١) الصدوق ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٥-٤٧٦.

(٥٢) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٩٩ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١٧٠/١.

(٥٣) هو: علي بن الطاحي الخزاز ، نسبة إلى طاحية قبيلة من الأزد، وهي حلة بالبصرة وهو من متكلمي الكوفة وكان أفضحياً، إذ ادعى هو وإتباعه أنهم امتحنوا الإمام العسكري فلم يجدوا عنده علماً فأعتقدوا بامامة جعفر. ينظر: النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٩٩، السمعاني ، الأنساب ، ٢٦/٤،

(٥٤) لم أقف لها على ترجمه ، فقط ما ذكرته كتب الرجال الامامية عن أخيها الفارس علي كونه فاسد العقيدة وقتل على يد بعض أصحاب الإمام العسكري في سامراء ، ومن المحتمل كانت تحمل نفس أفكاره ومعتقداته. ينظر: النجاشي ، ص ٣١٠، ابن الغضائري ، الرجال ، ص ٨٥، العلامة الحلي ، خلاصة الاقوال ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٥٥) الغيبة ، ص ٢٧.

(٥٦) كمال الدين ، ص ٤٧٦.

(٥٧) الهداية الكبرى ، ص ٣٨٣.

(٥٨) الهداية الكبرى ، ص ٣٩٠-٣٩١.

(٥٩) الصدوق ، الاعتقادات في دين الإمامية ، ص ٩٤-٩٥.

(٦٠) الصدر ، البحث حول المهدي ، ص ٢٣.

- (٦١) اشرنا في محور دراستنا السابقة الى بعض المصادر المعاصرة التي كتبت في هذا الشأن.
- (٦٢) ينظر المصادر المتقدمة.
- (٦٣) المهدي المنتظر ، ص ١٦٧.
- (٦٤) ص ٣٩-٤٣.
- (٦٥) الغيبة الصغرى والنواب الأربعة ، ص ٤٣.
- (٦٦) من جملة الروايات التي اشارت لهذا المعنى المتقدم مانقله داود بن القاسم الجعفري قال : " سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ فقلت : ولم جعلني الله فداك ؟ قال : إنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه ، فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه ". الكليني ، الكافي ، ٣٣٢/١-٣٣٣.
- (٦٧) كان الإمام العسكري : يخرج ولده في الثالث من مولده وعرضه على أصحابه قائلا : " هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار ، فإذا امتلأت الأرض ظلما وجورا خرج فيملأها قسطا وعدلا ". الصدوق ، إكمال الدين ، ص ٤٣١. وذكر الكليني قائمه كبيره ممن راي الامام . ينظر الكافي ، ٣٢٩/١-٣٣٢.
- (٦٨) كمال الدين ، ص ٤٠٨ ، كفاية الأثر ، ص ٢٩٤.
- (٦٩) الكليني ، الكافي ، ٣٣٨/١ ، الطوسي ، الغيبة ، ص ١٦٥.
- (٧٠) الصدوق ، كمال الدين ، ص ٣٢٣-٣٢٤ ، .
- (٧١) بحار الانوار ، ٥١/٥٤-٥٣.
- (٧٢) وهذا ما يتعارض مع عدد غير قليل من الروايات التي تذكر كذب الوقتين ، منها مانقل عن الفضل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : " قلت : لهذا الامر وقت ؟ فقال كذب الوقتون ، كذب الوقتون ، كذب الوقتون ". الكليني ، الكافي ، ٣٦٨/١.
- (٧٣) جاء في التوقيع : " بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى

- ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلأ الأرض جوراً..."
الطوسي ، الغيبة ، ص ٣٩٥.
(٧٤) الطوسي ، الغيبة ، ص ٣٩٥.
(٧٥) ذكرنا معظم النصوص التي أشير لها في موضع سابق.
(٧٦) ص ٣٦-٣٥.
(٧٧) الصدوق ، كمال الدين ، ص ٢.
(٧٨) ص ١.

قائمة المصادر والمراجع

- الاشكوري ، أحمد.
١- العقيدة المهدوية اشكاليات ومعالجات ، تقديم وتحقيق : مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ، (بيروت : مطبعة الاعلامي ، ١٤٣٤ هـ).
أغا بزرك الطهراني ، محمد محسن .
٢ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط ٣ ، (بيروت : دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٣ هـ).
ابن بابويه القمي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٢٩ هـ) .
٣ - الإمامة والتبصرة من الحيرة ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي ، ط ١ ، (قم : نشر مدرسة الإمام المهدي ، ١٤٠٤ هـ) .
الجابري ، محمد عابد ،
٤ - تكوين العقل العربي ، نقد العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ١٩٨٤).
٥- بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ١٩٨٦).
٦- العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، نقد العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ١٩٩٠).
٧- العقل الاخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ، نقد العقل العربي ، المركز الثقافي العربي ، (الدار البيضاء ٢٠٠١).
الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ).

- ٨ - الصحاح ، تحقيق أحمد بن عبد الغفور ، (بيروت : دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ)
العلامة الحلبي ، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ) .
- ٩ - خلاصة الأقوال ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨١هـ) .
الخلو ، محمد علي .
- ١٠ - الغيبة والانتظار قراءة تاريخ ورؤية مستقبل ، تقديم وتحقيق : مركز الدراسات التخصصية
في الامام المهدي ، (بيروت ، ١٤٢٩هـ) .
- الخزاز القمي ، أبي القاسم علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ) .
- ١١- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثنى عشر ، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني ، (قم :
مطبعة الخيام ، ١٤٠١هـ) .
- الخصيبي ، أبي عبد الله الحسين بن حمدان (٣٣٤هـ)
- ١٢ - الهداية الكبرى ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩١م) .
خليقي ، عبد المجيد .
- ١٣ - قراءة النص الديني عند محمد اركون ، ط١، (بيروت : منتدى التعارف ، ٢٠١٠م) .
الخوئي ، السيد أبو القاسم .
- ١٤ - معجم رجال الحديث ، ط١ ، (ايران : د . مط ، ١٤١٣هـ) .
- الزراري ، أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد (ت ٣٦٨هـ) .
- ١٥- تاريخ آل زرار ، (قم : مطبعة رباني ، ١٣٩٩هـ) .
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ) .
- ١٦ - الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، ط١، (بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨هـ)
.
- الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (٥٤٨هـ) .
- ١٧- الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٤هـ) .
الصدر ، محمد باقر .
- ١٨- البحث حول المهدي ، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة ، (قم : مطبعة فروردين ،
١٤١٧هـ) .
- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) .

- ١٩- الاعتقادات في دين الإمامية، (بيروت : دار المفيد، ١٤١٤هـ).
- ٢٠ - كمال الدين وتام النعمة ، تحقيق علي أكبر غفاري ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٠٥هـ) .
- الطبرسي ، أحمد بن علي (ت ٥٦٠هـ / ١٢٦١م) .
- ٢١- الاحتجاج ، تحقيق محمد باقر الخراسان ، (النجف الأشرف : منشورات دار النعمان للطباعة والنشر ، ١٣٨٦هـ) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت أوائل القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) .
- ٢٢- دلائل الإمامة ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ).
- الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) .
- ٢٣ - الغيبة ، تحقيق عباد الله الطهراني و علي أحمد ناصح ، ط١، (قم : مطبعة بهمن ، ١٤١١هـ) .
- ٢٤ - الفهرست ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، تحقيق مؤسسة نشر الفقهة والشيخ جواد القيومي، ط١، (قم : طبع ونشر مؤسسة نشر الفقهة ، ١٤١٧هـ) .
- علي ، جواد .
- ٢٥ - المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية ترجمه عن الالمانية أبو العيد دودو (المانيا : منشورات الجمل ، ٢٠٠٥ م) .
- ابن الغضائري ، أحمد بن الحسين البغدادي (ت القرن الخامس / القرن الحادي عشر الميلادي) .
- ٢٦- الرجال ، تحقيق محمد رضا الجلالی، ط١ (قم : مطبعة سرور ، ١٤٢٢هـ) .
- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) .
- ٢٧- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (بيروت : دار الجليل ، ١٤٢٠هـ) .
- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١م) .
- ٢٨- العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، (بلا : دار ومكتبة الهلال ، د. ت) .
- القبانجي ، محمد حسن .
- ٢٩- ثلاثية المعرفة المهدوية في المنتظر والمنتظر والانتظار، تقديم وتحقيق : مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي (١٤٢٨ هـ) ..
- الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) .

- ٣٠ - أصول الكافي ، تحقيق علي أكبر غفاري ، (طهران : مطبعة حيدري ، ١٣٨٨هـ) .
مؤسسة الرسالة .
- ٣١ - المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي ، (قم : مطبعة مهر ، ١٤١٧هـ) .
المالكي ، فاضل .
- ٣٢ - الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة ، قم : مركز الأبحاث العقائدية ، ١٤٢٠هـ) .
المجلسي ، محمد باقر (١١١١ هـ) .
- ٣٣ - بحار الأنوار ، (بيروت : مؤسسة الوفاء ، ١٤٠٤هـ) .
المفيد ، محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) .
- ٣٤ - الإرشاد ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط ٢ ، (بيروت : دار المفيد للطباعة والنشر ، ١٤١٤هـ) .
- ٣٥ - الفصول المختارة ، تحقيق مير علي شريف ، (بيروت : دار المفيد ، ١٤١٤هـ) .
منتجب الدين ، علي بن بابويه (٥٨٥هـ) .
- ٣٦ - الفهرست ، تحقيق سيد جلال الدين محدث ، (قم : مطبعة مهر ، ١٣٦٦هـ) .
الموسوي ، ياسين .
- ٣٧ - الحيرة في عصر الغيبة الكبرى ، (كربلاء : اصدار العتبة الحسينية المقدسة ، ١٤٢٩ هـ) .
ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن المكرم (ت ٧١١ هـ) .
- ٣٨ - لسان العرب ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) .
النجاشي ، أحمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ) .
- ٣٩ - الرجال ، تحقيق السيد موسى الشبيري ، (قم : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٦هـ) .
ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨ هـ) .
- ٤٠ - الفهرست ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ) .
النعماني ، أبي عبد الله محمد بن ابن إبراهيم بن جعفر الكاتب (ت حدود ٣٦٠هـ) .
- ٤١ - الغيبة ، تحقيق فارس حسون ، (قم : أنوار الهدى ، ١٤٢٢هـ) .
النوري ، محمد حسين .
- ٤٢ - خاتمة مستدرک الوسائل ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط ١ ، (قم : مطبعة ستارة ، ١٤٠٨هـ) .
واثق ، غازي .
- ٤٣ - الدين واحتكار الحقيقة ، (بيروت : دار الانتشار العربي ، ٢٠١٧) .